صوت الراوي

الراوي زمن السرد

الراوي.. صوت يأتي من كل قطر بقصة، أقاصيص لها نكهة الصحراء والبحر والجبل. أقاصيص لها تضاريس العقلية العربية، بكل ثرائها وتنوعها وتناقضاتها. أقاصيص لها حكمة الشيخ، وعنفوان المرأة وصبوات الشباب.

وإذا كان الرائد لا يكذب أهله فإن القصة بشكل عام لا تخذل الحقيقة أبداً. من هنا سعت **الراوي** أن تكون صوت القصة، صوت الحناجر المفعمة برائحة التراب. ظهر طموحها منذ البدء في تلوين مساحة القصة واستقطاب أصحاب السرد ، وبعد حين كثفت إطلالتها

بالتركيز على راوٍ في كل عدد تسبر سيرته، تقدم شهادات نقدية حول عطائه وتفرد مساحة معقولة لقصصه، ثم في خطوة تالية جاءت فكرة إطلالة عربية تطل منها **الراوي** على رقعة أوسع لتمتزج أصوات السرد ويتعزز وجود الراوي أكثر.. بوصفها من المجلات المتخصصة في الإبداع القصصي، أما مستقبلاً فالحلم كبير في أن تحظى بقبولكم وتواصلكم الدائم. أن تستوعب أبواباً جديدة، تمشياً مع طفرة السرد وعودة الوعي بأهمية السرد.

حسن النعمي

راوي العدد

حسين علي حسين الشريمي

سيرة موجزة

- الاسم: حسين علي حسين الشريمي.
- الولادة: 1370هـ/1950م المدينة المنورة.
- بدأت مزاولة الكتابة عام 1389هـ/1969م.
- عملت مراسلاً ومحرراً في مجلة اليمامة عام 1390هـ/1970م.
- مديراً لمكتب جريدة المدينة في مدينة الرياض عام 1395هـ/1975م.
- سكرتير عام التحرير بجريدة المدينة - جدة عام 1398هـ/1978م.
- مسؤول قسم التحقيقات الصحفية بجريدة الرياض.
- سكرتير تحرير مجلة اليمامة عام 1406هـ/1986م.
- خلال عملي في الصحافة كتبت:

1 - زاوية أسبوعية باسم «في الهواء الطلق» مجلة اليمامة.

2 - زاوية يومية باسم «في الهواء الطلق» جريدة المدينة.

3 - زاوية يومية باسم «كلمات» جريدة اليوم - الدمام.
4 - زاوية أسبوعية باسم «كلمات» جريدة الشرق الأوسط - لندن.

- عام 1419هـ تقاعدت من العمل في وزارة الإعلام للتفرغ للقراءة والكتابة.
- أصدرت منذ بدأت الكتابة خمس مجموعات قصصية: الرحيل، ترنيمة الرجل المطارد، طابور المياه الحديدية، كبير المقام، ورائحة المدينة... وقد صدرت عدة طبعات من هذه المجموعات منذ صدور أولى المجموعات عام 1978 بالقاهرة.

- ترجمت بعض القصص التي نشرت إلى اللغتين الإنجليزية والروسية.
- حزت على ميدالية الاستحقاق من الدرجة الثانية.
- اشتركت في العديد من الندوات والمؤتمرات الأدبية في داخل المملكة وخارجها.

حديث الذات

عندما بدأت القراءة لم يكن في ذهني أي شيء، لا أن أكون شاعراً أو قاصاً أو روائياً، كنت مثل الأرض البكر التي تخضر فيها كافة الأشجار. كنت أقرأ كثيراً ولكافة الكتّاب. وهذه القراءات المتنوعة كانت من أهم العوامل التي حركت في داخلي نزعة الكتابة. وكأي قارئ كنت أتوقف عند بعض الكتّاب، أعيد قراءة أعمالهم، أهمش على صفحاتها، أعود إليها بين وقت وآخر. ولعل من أبرز الكتّاب الذين اكتشفتهم مبكراً الكاتب الفرنسي الجزائري المولد «ألبير كامو» لقد هزتني روايتاه: الطاعون والغريب وبعده اكتشفت مكسيم جوركي ودستوفيسكي وهمنجواي وجون شتاينيك وارسكين كالدويل وفرنسواز ساغان وشارلوت برونتي وغادة السمان وليلى بعلبكي، ثم اتجهت لقراءة مجموعة كبيرة من الكتاب العرب مثل نجيب محفوظ والطيب

صالح وحنا مينا ومحمد ديب، قرأت لهؤلاء وغيرهم الكثير لكن بقيت بعض الأعمال لهؤلاء ولغيرهم أعود إليها كلما وجدت متسعاً من الوقت من هذه الأعمال العظيمة: موبي ديك للكاتب الأمريكي هيرمان ملفيل والمسخ وأمريكا لكافكا والغريب لكامو وجسر على نهر درينا والإخوة كرامازوف والدرويش والموت وزوربا.. إن الأعمال التي شكلت عالمي كثيرة، وإن كنت آسف على شيء فهو أنني حتى الآن لم أجد عملاً خليجياً أعود إليه بين وقت وآخر رغم أن أرضنا في الخليج مثل المنجم المليء بكافة أنواع المعادن الثمينة لكن الكاتب الخليجي حتى الآن لم يستطع سبر أغوار هذه المعادن. إن كل كاتب يطمح أن يكون له رائد يتتلمذ عليه في النوع الأدبي أو الفني الذي يحبه لكنني شخصياً لم أجد فهل يعود ذلك لي أم لتقصير النقاد الذين لم يدلونا على كاتب خليجي تشعر مع أعماله بنشوة مثل تلك التي تحصل لك وأنت تغوص في أعماق عمل مؤثر مثل: موبي ريك أو الحرب والسلام أو الإخوة كرامازوف!!

* * *

في البداية قرأت القصة والرواية ثم اتجهت إلى القراءة في المسرحيات العالمية المترجمة وهذه قادتني إلى الروايات العالمية المترجمة، ، بعد ذلك وجدت ميلاً إلى قراءة النقد حيث غرقت في مؤلفات مارون عبود. لقد كان هذا الناقد محارباً عنيداً، وسليط القلم أعجبتني كثيراً كتاباته، وكادت ترفعني إلى السير قدماً في القراءات النقدية، بكافة أشكالها، وبالذات كتابات الشكلانيين الروس، فقد قرأت لهم مجموعة مجلدات مترجمة في عدة أيام.. لكن هذا الخط توقف لصالح القراءات الروائية والمسرحية لكبار الكتاب وصغارهم.

وكان من الطبيعي - ربما - انطلاقاً من هذه القراءات أن أتجه لكتابة القصة، والقصة القصيرة بالذات، كونها تناسب في ذلك الوقت ميلي للاختصار ومعالجة قضايا محددة وغير متشعبة، والأكثر من ذلك قدرة القصة القصيرة على التعبير عن آمالي وتطلعاتي.

لكن، يظل في الواقع أضخم كتاب وأكثره فائدة لي هو حارتي أو بيئتي التي ولدت ونشأت فيها. هذه الحارة تضم زاداً لا ينضب من المعرفة والتجارب وما قدمته عنها

هـو جـزء بـسـيـط عـنـهـا وعـن عـاداتـهـا وتـقـالـيـدهـا وتطلعاتها ».

* * *

لقد عودت نفسي على عدم التفكير في الطريقة التي أكتب بها أعمالي. إنني أذهب إلى الكتابة يومياً وفي مواعيد متفاوتة، وإذا جاءت الكتابة، كتبت ما عندي، أما القضايا المعمارية أو المضمونية، فإنني أرى أن النقاد أقدر مني على سبر أغوارها في أي عمل فني بما في ذلك ما أكتبه.. لو فكرت في اللغة والزمان والمكان ووجودها أو حجم هذا الوجود ، فإنني لن أكتب على الإطلاق. إنني مع الانطلاق في كتابة النص وأنا واثق أن لكل نص لغته وأبعاده أو معماره.. إن الأديب الذي يهتم بالنقد ويحرص على إخضاع أعماله الأدبية للأحكام النقدية الصارمة سوف يخرج أعمالاً فنية ناشفة، بغير روح أو دم.

القصة تبدأ عندي بما يشبه لوحة البرق وهي تتشكل لحظة بلحظة وتتمدد أحداثها ومراميها كلما أعدت كتابتها ، فأنا لا أفكر حقيقة قبل الكتابة في المضمون الذي يتعين على بثه من خلال قصة جديدة.

قـراءة ما كـتبت تضعني في صف الذيـن يعبرون عـن آلام وهموم الإنسـان المعاصر أينما كـان ولـو خيـرت فـي اختيـار موضوعات لاخترت بدون تردد النزول إلى العوالم السفلى للإنسان. ففي هذه العوالم سوف أجد العديد من المآسي الإنسانية التي يطمح أي إنسان أن تتغير نحو الأحسن والأجمل.

* * *

المضمون قد لا يكون حاضراً بكافة تفاصيله في ذهني. إنه يتكامل وتتضح معالمه مع كل سطر جديد.. وحالما أنتهي من الكتابة الأولية للنص وهي الأسرع والأكثر عنفواناً وطيشاً. حالما أنتهي من هذه الكتابة، أترك النص لمدة قد تطول أو تقصر ثم أعود إليه بالقراءة والحذف والإضافة وإعادة الكتابة، وغالباً ما يتجدد النص، فقد أكون أنجزت النص الأول في ست صفحات، يتحول عند إعادة الكتابة إلى اثنتي عشرة صفحة أو أكثر.. وكثيراً ما أجد النص تافهاً في مرحلة المراجعة فأتخلص منه نهائياً. إن القصة بناء متكامل لا يقبل عمليات نقل الأعضاء أو، تغيير الدم. إن كل ما أقوم به بعد الكتابة الأولى إذا أقنعني النص هو عمليات تجميلية

وبعض الإضافات أما إذا وجدت روح النص ضعيفة فإنني أتخلص منه فوراً.

ومـن الـصـعـب الادعـاء بأنـنـي حقـقـت الـتـوازن بـين الشكل والمضمون وفق أحدث الطرق الفنية أو الإشكالية لكنني ومنذ بدأت الكتابة حاولت أن أكسر الحواجز وإن أفتت الأطر البالية التي تسلم نفسها من أول لحظة. لكن هل وفقت أم لا، ذاك سؤال من الصعب الإجابة عنه من قبل؟!

لم أفكر حتى الآن في المدرسة التي تنتمي كتاباتي إلـيـهـا، لأن هـذه - كـمـا أرى - مـهـمـة مـن يـقـرؤون وينتقدون. أما مهمتي أنا فهي أن أكتب فقط، وهذه الكتابة تصنف أحياناً مع الواقعية وأحياناً ضدها.

أحب أن أوضح أنه من الصعب رصد توجهات القراء والكاتب الذي يضع في ذهنه جميع القراء سيتحول مع الوقت إلى بهلوان أو لاعب سيرك. وفي اعتقادي أن الكاتب يجب أن يكون صوت نفسه، يكتب ما يعتقد وما يرى وما يختمر في ذهنه. وبعد ذلك يأتي دور القارئ والناقد.. والساحة الآن فيها العديد من الكتاب. ولكل

منـهـم فـي أدبـه طعـم ومـذاق خاص وكـل قـارئ لـه كـاتبـه الخاص أيضاً. ومن هنا أجد من الصعوبة أن تعمم ماذا ينبغي على الكاتب حتى يقبل عليه القارئ أو الناقد. والمهم أن يحسن الكاتب من أدواته ويطرح ما لديه.

* * *

أولاً: أحب أن أقول إنني قاص كسول جداً، فأنا لا أحرص على العلاقات الاجتماعية، فلا أزور ولا أزار، ثم إنني نادراً ما أرسل إنتاجي لكاتب أو ناقد إلا إذا طلبه مني. وحتى في هذه الحالة فإنني أحياناً أنسى إرسال بعض نتاجي، إنه إهمال أو برود، سمه كما تشاء!

ثانياً: لم يهملني أي ناقد كنت أطمح في أن يكتب عني من النقاد السعوديين، وإذا بحثت فسوف تجد أن قصصي درست كثيراً وربما كنت محظوظاً أكثر من غيري من أبناء جيلي، لقد كتب عني العديد من النقاد الذين لم أتعرف عليهم ولم ألتق بهم حتى الآن!

ثالثاً: أنا أكتب ولن أكتب حسب السائد، إنني أؤمن كما أسلفت أن لكل نص قانونه الخاص فلماذا أجامل النمط الثقافي السائد؟ إنني في غنى عن ذلك.

شـهادات
(1)

الرحيـل

تتخذ مجموعة «الرحيل» (1978) من حياة المدن موضوعاً لها. ولكنها مدينة ذات شوارع قذرة، ومقاهٍ صغيرة وحافلات مهشمة. ويستخدم المؤلف تكنيك تيار الوعي لكي يطلعنا على عقول شخصياته وأفكارها الداخلية. وتثير اللمحة التي نحصل عليها الرعب. فالإحباط هو الصفة الكبرى لجميع شخصياته، من الطلبة، والعمال، وصغار الموظفين الحكوميين، أو ببساطة، من الرجال العاطلين، لأن هؤلاء هم نوع الشخصيات التي يختارها. تكشف كل شخصية عن الفشل واليأس من خلال اللمحات التي نحصل عليها من وعي الشخصية ذكراً كانت أم أنثى.

ويبرز المقهى بصفته مكاناً هاماً يلجأ إليه الكثير من الشخصيات. ووسط الجو الصاخب، يعطينا الراوي إحساساً باغتراب شخصيته الرئيسة. وثمة محاولات خائبة للتواصل، تنتهي بعودته إلى البيت مكتئباً ووحيداً. ويهاجم الإحساس بالغثيان معظم الشخصيات، إذ تتصبب عرقاً في الحافلات المزدحمة أو في الحجرات سيئة التهوية. وفي حوار أجريته مع المؤلف، اعترف لي بمدى عمق تأثره حينما قرأ لأول مرة، روايتي كامو: «الطاعون» و«الغريب». وإنني لأدهش من جديد كلما قرأت قصة قصيرة سعودية في صحيفة أو مجلة، وإزاء التناقص بين نغمة الزهو والرضى عن النفس للصحيفة ككل، وبين الرؤية المعبرة عن الاغتراب وتشتت التجربة والإحباط في العمل الإبداعي. ولا يسعني إلا أن أطرح السؤال الذي طرحته في عرض نقدي لمجموعة: «الرحيل» هل يتوافق الكاتب - فحسب - مع تقليد أدبي، أم أنه يصور جانباً معيناً من هذا المجتمع، لا أستطيع أنا، بوصفي غريبة عنه، أن أراه؟ ولكن، أين هي ا لمدينة الحديثة النظيفة، والبنايات الشاهقة، والأسواق الزاخرة بالسلع، والناس الحسنو التغذية، الحسنو المظهر الذين

أراهم حولي دائماً؟ ألا يشكلون مادة ملائمة للأدب؟ لقد طرحت هذا السؤال في نهاية العرض الذي كتبته، فسبب لي ذلك مشكلة. فقد علق أحدهم في جريدة «الرياض» قائلاً إنه من الواضح أنني أعتقد أنه ليس للشعب السعودي مشاكل اجتماعية، ولكنني مازلت أعتقد أنه من المدهش ألا يكون أي جانب من جوانب مجتمع متزايد النمو، يجري تحديثه، وصناعي ناجح، قد ظهر في القصة القصيرة السعودية.

د. فاطمة موسى

(2)

ترنيمة الرجل المطارد

ما هذا القلق المأساوي الذي يساور حسين علي حسين؟ وما هذا الحزن القاتم الذي يلفه من كل جانب؟ وما هي منزلته؟ وما هو مصيره؟

حين أنهيت قراءة هذه المجموعة القصيرة (ترنيمة الرجل المطارد التي أصدرتها دار العلوم سنة 1983م) ألقيت على نفسي هذه الأسئلة، فعدت إلى الكتاب أتصفحه وأعيد قراءة قصصه الاثنتي عشرة لعلي أظفر بإجابات شافية ومقنعة.

وفي البدء، لنرفع التباساً أساسياً: فالكاتب حسين علي حسين لم يجد الأشخاص الذين جعلهم يتحركون من قصة إلى قصة، ولم يصف عليهم حالة نفسية وحالة

اجتماعية وحالة ثقافية موحدة، بل أعطى لكل شخص منهم ملامحه وخصائصه ومميزاته. وهذا من أصول الفن القصصي، كما هو شائع ومعلوم.

ثم هو لم يجعل أولئك الأشخاص المختلفين عن بعضهم البعض ظلالاً لشخصه، أو ناطقين باسمه، رغم استعماله لفنيات ضمير المتكلم حيناً، وضمير المخاطب

بـالـذات، بـل أولـئـك الأشـخـاص الـذيـن يـضـطـربـون فـي (الأرض والمرتبة) و(النخلة) و(الطين الغروي) و(حكاية الجرذ) و(ترنيمة الرجل المطارد) و(الخاتم) و(الوصول) و(البيت) و(القنينة) و(الثعبان) و(اللون الأصفر) و(زائر المدينة). فهؤلاء الأشخاص يتحركون كثيراً فمن وافد من البادية إلى المدينة، ومن راجع من المدينة إلى القرية، والكثير منهم يتسكعون تحت لذع الشمس أو تألق النجوم وكأنهم تائهون تتقاذفهم الشوارع بين الغبار والضجيج وضراوة الآخرين وشراستهم، لا يعرفون غايتهم وهم في ذلك قانعون، ومستسلمون، منقادون للآخرين، وإذا ما توقفوا بعد التعب الشديد فإنهم سيعودون حتماً إلى الاضطراب، وعدم الاستقرار، والحيرة، ماذا يطلبون؟ يقول الكاتب في إحدى قصصه: (المستحيل) ويقول أيضاً بين السطور (إنهم غير راضين) أو (إنهم مطاردون) كا جاء في عنوان المجموعة، أو أنهم يعيشون على الحنين كهذا الذي يكتشف أن شقيقه قد وافاه الأجل المحتوم منذ زمان أو كتلك التي تتمنى الزواج، ولكنها ستظل عانساً إلى أبد الدهر، وهم يشعرون بالوحدة، بل بالعزلة الضيقة فالحوار قليل بينهم وبين الآخرين، وإن

ارتبط فبعسر وتشنج واستخفاف وازدراء، قد أكلهم الصمت أكلاً ذريعاً.

فلقد ذكرتني أوصاف الأشخاص وخصوصاً تحركاتهم داخل المدن حين يشقون شوارعها وبطاحها من أقصاها إلى أقصاها ويلجؤون إلى مقاهيها ، وهم وحيدون لا يقترب منهم أحد، بأبطال أفلام (الوسترن) الأمريكية والإيطالية. ولكن على عكس ذلك، فهؤلاء الأشخاص ليسوا بأبطال، بل هم سلبيون إلى أقصى حدود السلبية، ليسوا فعالين ولا قادرين على شيء.

وأغلب هؤلاء الأشخاص من الذكور الذين خطوا خطوة أولى طور الكهولة، أو أنهم - على الأصح - شابوا قبل الأوان. وهم يتكلمون إلى نفوسهم (بحكمة) كما يقول المؤلف، وربما بشيء من التزمت، ومن مآسي هذا العصر،أن يسلك الشاب سلوك الكهل، وأن يسلك العجوز سلوك الشاب!

ولكم هي كثيرة وعنيفة مشاغلهم العائلية التي تتمحور دائماً حول قلة المال وتكبد الديون ونجاح الأولاد

وإخفاقهم في التعليم وترضية الزوجات بالفيلا الجديدة والسيارة الفارهة الصفراء العتيدة!

ذلك أن منزلتهم الاجتماعية رديئة جداً، فمن بينهم الفلاح، والموظف الصغير، وربما التاجر والموظف الصغير الذي يحلم بالثروة التي لن يطولها ولو علق نفسه في السماء.. وهم يعرفون أن علاقتهم بالآخرين هي مجرد علاقة مصلحية نفعية. علاقة فلوس كما يقول الكاتب، وأن الناس في المجتمع قد تفشى المرض والطاعون في ضلوعهم رغم أنهم في كامل العافية، كما يصفهم المؤلف.

وهم ناس ملتصقون بالتربة أيما التصاق حتى تكاد تقول إن هناك تضامناً سرياً بينهم وبين الطين، وهي نظرة إسلامية عريقة جداً.

ولقد بلغ حسين علي حسين إلى الإبداع القصصي الراقي في (حكاية الجرذ) خاصة، وكذلك في (النخلة) و(الثعبان). وإني لأفضل هذه القصص الثلاث على سائر القصص الأخرى في هذه المجموعة.

فهذا الخشعمي الموظف الذي لا يطمئن لما حوله يقارن

وضعيته المتردية بمنزلة الجرذ الكبير الذي يدخل كل صباح إلى المقهى بكل حرية ويجوس تحت سيقان المقاعد والمناضد باطمئنان ثقيل وثقة بالنفس لا تعادلها ثقة ويأكل ما يشاء من رزق الله ثم يخرج من المقهى ولا يدفع ولو فلساً واحداً، أمام القهوجي الذي يشجعه على ذلك، وأخيراً يقصد مقر المحكمة المقابل للمقهى ليلتهم الأوراق والدفاتر بالمجان، بينما الخشعمي عليه أن يدفع النقود لكي يشرب شايه الأخضر المفضل وعليه أن يفكر في ألف قضية بما فيها القضايا العالمية المزمنة ويرهق نفسه بذلك كل الإرهاق. فالخشعمي مكبل، والجرذ الكبير حر، والخشعمي موسوس، والجرذ مطمئن، والخشعمي ثقيل على نفسه وعلى الآخرين، والجرذ خفيف الظل والحركة ومحبوب ومشجع! يا لها من منزلة بشرية تعسة أحقر من منزلة الجرذان!

كيف لا تذكرني هذه القصة برواية فرانتز كافكا المعروفة (بالمسخ)؟ وعلى عكس غريغوار سمسا الذي تحول ذات صباح إلى حشرة ضخمة وهو مازال في فراشه، فإن الخشعمي قد ظل إنساناً من لحم ودم وفكر ومشاعر

ووظيفة اجتماعية وبقي الجرذ ولو كان كبيراً عاتياً جباراً! لكن مقدرة الكاتب الإبداعية تكمن في رسم خط التوازي بين المخلوقين البشري والحيواني، مع ذهاب وإياب مستمرين بينهما مثل المقارنة تارة، أو أوجه الشبه طوراً، أو التباعد حيناً، أو التقارب أحياناً، أو التطابق مرة، أو الاختلاف مرات، وأخيراً بين هذا وذاك!

وهذه قصة ثرية جداً، يمكن تحليلها بأدوات نقدية شتى مثل البنيوية من الناحية اللغوية والتعبيرية (البلاغية) والشكلية والمضمونية، ومثل التحليل النفسي لسبر أغوار الشخصية القصصية في علاقتها بالجرذ من جهة، وفي علاقتها بالكاتب من جهة ثانية، وفي علاقة الجرذ بالكاتب من جهة ثالثة، وكذلك الغوص على النوازع الباطنية واللاواعية، وتوضيح الرموز والعلامات للرغبات الدفينة، كما فعلت مثلاً المحللة الشهيرة ماري بونابرت لقصص آلان إدغار بو الكاتب الأمريكي المعروف.

عز الدين مدني

(3)



يقلدون بعضهم وأن كل واحد منهم يحاول أن يكون شخصيته بمعزل عن الآخرين وضربت أمثلة بأسماء عبدالله جفري وسباعي عثمان وباخشوين ومحمد علوان، وها هي مجموعة حسين علي حسين تأتي لتؤكد ملاحظتي تلك التي أعتبرها من أولى ميزات القصة القصيرة في السعودية.

إن قارئ مجموعة «طيور المياه الحديدية» يؤخذ بقدرة المؤلف على التقاط المشهد القصصي في اللحظة القصصية المناسبة والقصة عنده لا تذهب أبعد من مكانها، وأبطالها لا تأخذهم تداعياتهم إلى أماكن وأزمان أخرى - كما يفعل سباعي أحمد عثمان أو عبداله جفري مثلاً - اللذان رغم الهم الاجتماعي في قصصهما إلا أنهما شغوفان بتيار الوعي الذي أفاد منه أبرز القصاصين العرب بعد أن عرفوه عن جيمس جويس وناتالي ساروت وغيرهما.

فقصة «كرسي خيزران» نموذج لقصة اللحظة، رجل من شرفته يراقب مشهداً، هذا كل شيء.

لكن قصته «طابور المياه الحديدية» التي تحمل

المجموعة اسمها قصة ذات تأثير أكبر ولا أغالي إن قلت بأنها نموذج من أجمل القصص العربية الحديثة. القصة تتحدث عن منبع ماء معدني، يشفي المرضى - كما يعتقد الناس - وطقوس الناس في التعامل مع هذا الماء. لقد وظف المعتقد الشعبي بعمل قصصي ناجح تميز بنكهته المحلية وبلغته رغم أنها تميل إلى الإسهاب في الوصف أكثر مما هو موجود في قصص المجموعة الأخرى.

وبطل قصة «نهار المقيبرة» يريد أن يخرج على ركود حياة الناس بفعل ما يذهب إلى عطار فيطلب منه شيئاً، هذا الشيء هو خليط لا يخلط من مادتين فيتهمه بالجنون، ثم يبدأ شجار بينهما، بعد ذلك يذهب إلى عطار آخر ويتشاجر من جديد، لكن العطار يقتله ببساطة، يرفع صاحب الدكان آلة حادة ويهوي بها على صدره مباشرة، تشخب الدماء حارة ولزجة. جمع آخر يتكون... سيارات... دواب ونساء ورجال.

وهكذا تنتهي القصة... والموت المجاني كلاهما يحدث بهدوء.

وإذا كانت قصة «نهار المقيبرة» ترسم لنا جواً عبثياً

فإن المؤلف في قصته «الجثة» لا يتوانى عن جعل هذه الجثة تنطق وتحاور.

وبطل قصة «الزيارة» يذهب إلى الطبيب ليطببه من آلام بطنه، لكن المفاجأة تأتي عندما يقترح عليه الطبيب بأن يتحول إلى امرأة وقد وافق على ذلك لأنه سيبرأ من متاعبه مع زوجته.

هذه مجرد عينات من قصص حسين علي حسين في مجموعته «طابور المياه الحديدية» ويسجل لصالحه فيها أيضاً تركيزه على الفصيح من لغتنا وعدم استخدامه للمفردة أو المصطلح العامي إلا فيما ندر الأمر الذي نجده عند قصاصين سعوديين آخرين ويجعل بيننا وبين استيعاب القصة حاجزاً كان بالإمكان تخطيه بوضع هوامش شارحة لهذه المسميات.

عبدالرحمن مجيد الربيعي

(4)

عزلة الذات

اختار الأستاذ حسين علي حسين أن يرصد علاقة الذات بما حولها من الآخرين من خلال غوصه في أعماق هذه الذات ورصد ما يبدر عنها من تصرف تجاه هؤلاء الآخرين فجسد في قصته «الحديقة» مدى العزلة التي تعاني منها الذات في صورة الشخص الوحيد مع صحيفته يجلس على كرسي في الحديقة لا يلقي بالاً للعالم من حوله يقلب صحيفته على نحو عشوائي غير مبالٍ بما يري حوله بل إنه يمتهن كثيراً من الآداب العامة في حركاته العبثية عندما يتمخط مرة وثانية.. وتستوقف نظرته أخبار الموتى في الصحيفة كما يتجلى في تعليقاته التي تستشف من خلالها شيئاً من الشماتة والتلذذ بالنهايات التي انتهى إليها أولئك الموتى..

وتستـرعـي انتـبـاهه أخبـار أخرى هامشيـة لا تغني شيئاً وتكشف شيئاً من التخبط الذي انتهى إليه العالم حينما تنجح تجربة عجل الأنابيب في روسيا.

وفـي إطار هـذا الجـو الخـاص الـذي أحـاط بـه هـذا الـشخـص نفـسـه تبـدأ محـاولات العـالـم الخـارجي فـي اقتحامه عليه متمثلة في هذا الطفل الذي لاينفك يقفز أمامه عدة مرات بحبله البلاستيكي المجدول وفي ذلك الحارس الذي مافتئ يقتحم عليه عالمه بصوت صافرته ويزحزحه عن موضعه.

ويتأزم الموقف على نحو تدريجي بين هذا الشخص والعالم ففي الوقت الذي توشك الحديقة أن تخليه من الناس تزداد فيه محاولة الحارس اقتحام عالم الرجل وينتهي الموقف بينهما على نحو درامي عنيف يصفح فيه الرجل الحارس على وجهه، وبعد أن كنا نتوقع من ذلك الحارس الشرس أن يثأر لنفسه نفاجأ به يترك الرجل يهرول مبتعداً ثم يلتقط عصاه ويواصل جولته التفقدية وكأن شيئاً لم يحدث بل إن هذا العنف أصبح فاتحة لعلاقة جديدة تربط بين الرجل والحارس أو بالأصح بين الرجل والعالم من حوله وكأنما قد أراد القاص أن يقول إن

شيئاً من العنف نحتاج إلى ممارسته كي نكسب احترام الآخرين لنا ونوقفهم عن محاولة اقتحام عالمنا الخاص وأن العلاقات الإنسانية التي تربط الإنسان بالعالم إنما ترتكز على منطق القوة الذي يشعر به كل فرد تجاه الآخر على أنه ذات تستحق أن تمتلك حيزاً في الوجود فالعائلات التي كانت تقيم في الحديقة إنما كانت تكتسب شرعية وجودها عن طريق ما كانت تتسم به من تكتل وتجمع أما الشخص الوحيد فلم يكن له من سبيل سوى استعمال القوة لإثبات شرعية بقائه في الحديقة.

وفي قصته «الزيارة» يحاول الأستاذ حسين علي حسين أن يؤكد أن إدراكنا لهويتنا هو السبيل الوحيد الذي من شأنه أن يجعلنا مؤهلين لكي نلعب الأدوار التي تناط بنا وهو الذي من شأنه كذلك أن يخرجنا من العبثية التي تتسم بها تصرفاتنا.

إن تعرية الرجل نفسه أمام الطبيب نوع من الرجوع إلى حقيقة الذات نوع من اكتشاف النفس بعيداً عن البهرج والطلاء الذي تغمرنا به الحياة.. هناك يرى الرجل نفسه وكأنه يراها لأول مرة.. رفع ثوبه بتثاقل.. نزعه.. نزع السروال والقميص الداخلي.. نظر إلى نفسه بعد

ذلك فوجد أنه والناس فيه شيء مختلف، جسمه أملس ناعم بلا نتوءات على الإطلاق، كيف لم يشعر بذلك في أي وقت.

إن تميز الأستاذ حسين علي حسين في هاتين القصتين من حيث المضمون والأداة من شأنه أن يجعل الوقوف أمام قضيته وقوفاً يطول ويطول.

د. سعيد السريحي

قصص مختارة
لراوي العدد

حكاية الجرذ(*)

اليوم جاء الخشرمي إلى مقهاه مبكراً، وجلس على نفس الكرسي الذي اعتاد الجلوس عليه كل يوم، وأخذ يتنفس بقوة، بطريقة توحي برضاه التام عن كل ما يجري حوله، مع إنه قلّما يرضى وقلّما يشعر بالاطمئنان لما حوله. لكنه اليوم لديه شعور داخلي بأن كافة الأمور تجري على خير ما يرام، انطلاقاً من البيت ونهاية بالمقهى، يتناول فنجان الشاي. الدخان يتصاعد من جوف الفنجان بطريقة قاسية، ومع ذلك فإنه يواصل رشفه بشراهة، ويتساءل في داخله بطريقة طائشة، كيف سيكون حال العالم لو أوقفت سيلان أو الصين أو الهند تصدير الشاي؟ وقال إن الشاي هو الترسانة الأخيرة التي يحتمي خلفها كلما تكالبت عليه المشاكل، ولذلك فهو

*) من مجموعته: ترنيمة الرجل المطارد.

لا يفكر في الاستغناء عنه، حتى لو وصل سعر (البراد) إلى ريال واحد.

عيناه تتحركان في محجريهما وكأنهما حبتا زئبق، لترقبا بطريقة مدهشة الجرذ الكبير وهو يبدأ مسيرته المظفرة من داخل (المحكمة) ليجوس بين كراسي المقهى وما تحتها من هوام بمنتهى الهدوء والاطمئنان، فليس له من مكان يرتاح فيه ويتجول على حريته، إلا ملفّات (المحكمة) والمقهى المنتصب أمام بابها مباشرة، هكذا أخذ الخشرمي يفكر وهو يرنو إلى الطريقة التي يمارس بها الجرذ حياته، حتى إنه يزور المقهى مثلما يزورها الخشرمي مع أنه لا يدفع نقوداً على الإطلاق، هو وحده الذي يطالب بقيمة براد الشاي وبقيمة الجلوس على الكرسي العتيق إن لم يطلب الشاي، مع أنه نادراً ما يفعل ذلك، فالشاي بالنسبة له على الأقل سيد المجلس.

قرّب فنجان الشاي من فمه. كان حاراً قبل قليل، فكيف برد بهذه السرعة؟ تساءل بقلق، مدّ رجله لتسوح فوق علب السجاير الفارغة وأغطية البيبسي كولا، وقال وهو يسترجع صورة الجرذ السعيد، إن حياته غدت بدون

معنى، ما هو الفرق بينك وبين الجرذ؟ يأكل رزقه مجاناً وله الحق في الاطلاع على ملفات المحكمة أولاً بأول، أما أنت فكل شيء يدخل جوفك بثمن حتى الماء والهواء، أما لو أردت إرضاء فضولك بالنظر إلى معاملات الآخرين فسوف يقال عنك حالاً بأنك جاسوس، وحينذاك فإنك ستجد نفسك أمام قضية لا حل لها إلا السجن وذلك أضعف الإيمان، فأي حياة هذه؟ تساءل وبصق على أرضية المقهى بحقد دفين، ثم ابتسم ببلاهة متناهية للنتيجة التي توصل إليها. مدّ يده وقشع الطاقية من فوق رأسه ووضعها على الطاولة، وقال إن المسألة بحاجة إلى تفكير طويل، فلا يصحّ أبداً أن يكون (الجرذ) أكثر حرية منه، هو الموظف درجة ثانية، الحريص على الاطلاع أولاً بأول على أحوال العالم، والذي يجد لذة كبيرة في الحديث عن أزمات البروتين والطاقة والحرب الباردة، ومع ذلك لا يستطيع التوصل إلى حل يساوي بينه وبين (الجرذ)!!

وحين لم يتوصل إلى نتيجة باترة، قنع بما رآه على مضض، وأخذ يراقب ما يرد إلى المقهى وما يخرج من روّاد وبهائم وعربات، لكن شيئاً واحداً، مازال يتمحور ويتمدد في تلافيف دماغه، ذلك هو (الجرذ) حركاته،

سكناته، عدم اهتمامه بالأرجل التي تجوس بين الكراسي، إنه يشعر وكأن كافة روّاد المقهى قد أقاموا علاقة مبنية على الألفة والمحبة مع (الجرذ)، حتى تمنى في داخله أن يتبع (الجرذ) بعد خروجه من المقهى ليراه وهو يشق طريقه داخل أرتال الملفات، وليرى ما هي المعلامات التي يلذّ له أكلها، هل هي معاملات الزواج والطلاق أم معاملات العقار والأراضي، وبينه وبين نفسه، رجّح (الخشرمي) أن معاملات (العقار والأراضي) ربما استهوته أكثر، لماذا توصل إلى هذه الفكرة، هو أيضاً لا يدري، كل ما يدريه أنه في شوق عارم إلى مشاركة (الجرذ) كافة شؤونه، بل وصلت به أفكاره إلى استعداده التام على الاستغناء عن مرتبته الثانية وعن الاهتمام بأحوال العالم، إلى الاهتمام بأحوال (الجرذ) ليأخذ فكرة متكاملة عن حياته، كيف ينام؟ متى يحلو له مداعبة الفئران؟ ما هي أوقات تناوله الوجبات؟ ما هي أمنياته الخاصة والعامة؟ لكنه حين يفكر في أن (الجرذ) لا يألف الإنسان يشعر بالحسرة والندم.

أتى القهوجي ببرّاد جديد. سأله الخشرمي عن حكايتهم مع (الجرذ) فقال له بلا مبالاة:

- يأخذ رزقه ويمشي!!

● كيف؟ استزاده الخشرمي فردّ عليه بعد تفكير قصير:

- إنه قنوع، لا يبحث إلا عن الأشياء الظاهرة، يأخذ

قطعة من هنا وأخرى من هناك، ثم يتوكل في حال سبيله!!

● أليس في ذلك خسارة لكم؟

قال بطريقة طائشة: نحن لسنا أصحاب مخزن دقيق، إن ما هو ظاهر لدينا له طريقتان للتصريف، إما بطن (الجرذ) وإما صندوق الزبالة!!

● والجرذ أفضل!!

- إنه صديقنا لذلك نفضّله على بعض الزبائن، فما بالك بصندوق الزبالة؟.

● ألا تخافون الطاعون؟

- الطاعون بات يتفشّى في شتى الأرجاء حتى أننا لم نعد نخافه!!

وحاول (الخشرمي) أن يمدّ خيطاً آخر في الحوار، لكنه آثر السلامة، ونقّد القهوجي قيمة برّاد الشاي، وأخرج

لنفسه سيجارة أخذ يدخّنها في هدوء، وهو يشعر أن لا شيء في العالم بات يشغله الآن مثلما تشغله حكاية (الجرذ) حتى أنه تمنّى لو كان (جرذاً)!!

تنتهي السيجارة. ينصب الخشرمي قامته، يقوم. يلبس حذاءه. يضع (الغترة) على رأسه. ينادي بأعلى صوته وكأنه في حراج الثلاثاء. (دنيا فانية!!) يضحك بعض الروّاد. هو يمط قامته العريضة وعلامات الحزن واضحة على وجهه، وينداح وئيداً في الشارع الطويل المترب، مخلفاً خلفه (الجرذ) السعيد وهو يجوس بهدوء تحت الكراسي وبين أرجل الروّاد، وفوق علب السجائر والورق والمعلبات الفارغة ورائحة الرطوبة اللزجة.

* * *

الزيـارة(*)

كانت الحركة رتيبة، شبه متلاشية، لا تثير انتباهه ولا انتباه الغرباء، لكنها بدت له في قمة الإثارة، من يفجر هذا الصمت الذي يلف الأشياء من حوله، يدخل في بطنه المجوف الحركة ووخز الإبر؟ تساءل وراقب حركة الكلب وشخيره المتناغم، كانت الصناديق حول المستوصف لامعة السطوح بعضها مليء بالغبار لكن اللمعان ينفذ من بين الخصاص قال إنها أشعة الشمس، تستولد اللمعان من غبر الوجوه، فما بالك بالسطوح الحديدية اللامعة؟ أعجبه الاستنتاج وقال إن مكانه الطبيعي في مجالس الخبراء، حيث يقرر مصير الكون والحرب والسلام، لكن حظه العاثر مال به وأوصله إلى حيث لا يعلم إنس ولا جان مستقره حتى الآن.

*) من مجموعته طابور المياه الحديدية.

تناول السيجارة من البكت وأشعلها. مجها بشراهة. عدل الغترة وحك شحمة أذنه بخدر لذيذ.. قالت له والتعابير على وجهها في تموج المحيط:

- أنت إنسان فاشل ولا مكان لك في بيتي؟

● بيتك أم بيتي؟

- الزوجة لا مكان لها في الشوارع.

● والرجال؟

- لهم المقاهي ومجالس الأنس وربما السفر إلى حيث تلتحم الأشياء ببعضها.

● تعتقدين أنني أصلح لهذه الأشياء؟

- تصلح لماذا إذاً؟

● لك وحدك، نور عينيك بحري الذي أغوص فيه، وصوتك وصلة الموسيقى التي أسمعها في كل حين.. كل..

- هذا وحده لا يكفي إنني أريد الالتحام.. أريد الحرارة..

● ألا يكفي أنني أريدك؟

* * *

لفظ البصقة وتلفت حوله، كانت السيجارة قد لفظت أنفاسها ، والعرق اللزج ساح على هواه فغطى الصدر والوجه. فكر كيف يستطيع الخروج من جلده؟ وقال بلا تردد إنه خارج فعلاً، إنه في جلد غير جلده.. من هو الآن؟ مدينة بلا جدران..

شخص ممصوص العود ، أصفر كحبة قمح ، مسلوب من كل شيء إلا حقه الشرعي في مراجعة الطبيب.. قال بحرارة:

● أريد أن أراجع زوجتي.. طلقة واحدة.. من حقي بعدها أن أعيدها إلى عصمتي.. نتف العجوز شعر أنفه بعصبية وخبط بالمروحة الخوصية على الأرض قائلاً:

- لكنها لا تريد عصمتك.

● لماذا ؟

- تقول إنك لا تعطيها حقوقها كاملة.

● من قال ذلك؟

- هي.

● وماذا أيضاً؟

- تريد أن تطلقها بالثلاثة.. حتى ترتاح منك إلى الأبد.

● أليس من حقي مراجعتها إذاً؟

- من حقك مراجعة الطبيب..

* * *

جلس مع الجالسين، تناول من جيبه جريدة الصباح وأخذ يبحلق في بياضها وسوادها ثم تساءل بصوت مسموع:

● ألم يأت الطبيب؟

همهموا بصوت واحد:

- لم يأت الطبيب.

قال بإهمال:

● اشعلوا لفائفكم إذاً وانتظروا تشريف حضرة الطبيب.

- أشعلنا لفائفنا ولم يحضر الطبيب.

فجأة تنرفز وصاح:

- قبّح الله الطبيب.

- همهموا بصوت واحد:

- قبّح الله الطبيب!!

شعر بارتياح للنتيجة وأخذ يبلحق في صفحات الجريدة السوداء والبيضاء، ثم سلك يده المعروقة في جيبه وأخرج علبة اللفائف، قام من مجلسه، طاف بعلبة اللفائف على الجالسين، ناولهم جميعاً، ثم أخرج علبة الثقاب، أشعل العود وطاف به على الجميع، حتى أشعلوا لفائفهم، خطرت له فكرة فنفذها فوراً:

- الدخان يضر بصحتكم.. فلا تقربوه يرحمكم الله!!

أبعد الجميع اللفائف عن أفواههم.. بحلقوا فيه جيداً.. ثم عادوا لامتصاص الرحيق الأصفر من جديد.

* * *

طوى جريدة الصباح ورفع عقيرته بنفاد صبر:

● ألم يأت الطبيب..؟

ردوا بصوت واحد:

- سيارته قادمة.

● كم الساعة الآن في أيديكم؟

- لا نتعامل مع هذه الآلة الجهنمية!!

* * *

أمام المستوصف وقفت سيارة الطبيب. خفت إليها الممرضة. أخذت طفل الطبيب من السيارة مع الطفل لعبته الخاصة.

دخلت.. ضحك في سره وقال للجالسين بسخرية:

- عشت لأرى المستوصف وقد تحول إلى روضة..

التفتوا إليه قائلين بلهجة لاذعة:

- البيت بيته ولك أن تدخل أو تنسحب!؟

كاد يتنازل عن رغبته الملحة في الدخول إلى الطبيب، لكنه تشجع وتوجه رأساً إلى العيادة فوجد الطبيب متربعاً على أحد الكراسي وفي يده شطيرة ضخمة يقضم منها بشراهة، الموقف أصابه بالخجل وجعله متردداً في الدخول، لكن الطبيب شجعه:

- هاه.. مم تشتكي؟

● بطني!!

- انطق ما به؟

- يعزف موسيقى!

استشاط الطبيب غضباً، فقد أحس بأنه أهين، وضع الشطيرة على الطاولة، ووجه إليه الحديث بلهجة صارمة:

- هذا المكان للعلاج وليس للكلام الفارغ..

- وأنا أيضاً أقول إن هذا المكان للعلاج لذلك أتيت، لكني وجدته قد تحول إلى مطعم ومنبر وروضة أطفال!!

ابتلع الطبيب الإهانة وقال بابتسامة محايدة:

- تفضل أكشف عليك.

رقت ملامحه وشعر لأول مرة بأنه حقق بعض الانتصار. تمدد على المنضدة، استرخى تماماً. حلق في فضاء الغرفة المحدود. راودته نفسه أن يشغل سيجارة، لكنه خشي بأن تسجل عليه..

قال الطبيب:

- مم تشكو؟

● أشـعـر بـأنـنـي زائـد عـن الحـاجـة.. زوجـتـي لا تجـد كفايتها.. عملي لا يجد كفايته ماذا أعمل؟ قلت آتي إليك.

- اكشف بطنك.. لا.. اخلع ملابسك.

رفع ثوبه بتثاقل. نزع السروال والقميص الداخلي. نظر إلى نفسه بعد ذلك فوجد أنه غير الناس. فيه شيء مختلف جسمه أملس ناعم بلا نتوءات على الإطلاق.. كيف لم يشعر بذلك في أي وقت؟ بدا له الأمر كأنه ابن لحظته.. سأله الطبيب:

- ألم تشعر في أي وقت بحركة غريبة في جسدك؟

● ربما؟!

- أنت في نعمة.

ألح عليه:

● زوجتي؟

- طلقها!

● طلقتها وندمت!

- لا تندم.

تسا ءل بهلع:

● والحل؟

- هناك حلان.. إما أن تتحول إلى امرأة وإما أن تظل معلقاً.

بعد أن ارتدى ملابسه، تناول أحد الكراسي. وضع رجلاً على رجل. أخرج علبة اللفائف وأخذ يشفط اللفافة الجديدة وابتسامة خفيفة تفترش صفحة وجهه المتموجة تموج المحيط.. وقال:

● أريد أن أتحول إلى امرأة.

نادى الطبيب بصوت جهوري:

- واحد غيره!!

1402هـ

* * *

برودة(*)

شتـاء الحـوش يـخرج أمـي مـن الدار. عـلـى رأسـهـا الغطاء الأسود بخرومه الدقيقة، وعلى جسدها المنتصب ثوب أسود فضفاض (حزن على حزن كل أمي!!) ذلك كان شعوري دائماً، لكن أمي لا تفكر في شيء، هاجسها مع كل غروب شتائي أن تخرج من الدار مسرعة لتطوف حول خرائب الحوش وصخوره وطين أطلاله المتناثرة في كل ركن. تنادي بعالي الصوت:

- فينك يا علي.. فينك يا سبب همي!!

أختبئ وسط الخرائب. أرقب بياض السماء. أبحث عن مخارج النجوم دون جدوى. ضحكات الأطفال تتساقط، أحسها من الاتجاهات. نجمة الزقاق الوحيدة تعبر المحيطات الضيقة لتحط فوق رؤوسنا الصغيرة.. لا نعيرها.. ليست هذه نجمتنا.. نجمتنا فوق، وسط الخيمة

*) من المجموعة القصصية: كبير المقام.

البـيـضـاء الآن.. السـوداء بعـد دقـائـق.. يأتـي الصـوت مجدداً:

- فينك يا علي!!

أخرج من خلف خن الدجاج وفي اليد جورب قديم معبأ عن آخره بالبيض.. أخبئ البيض في التراب.. قدماي حافيتان وصدري مفتوح.. ترتخي أمي حالما تلقي القبض علي.. تضع الغترة المنقطة على رأسها وصوتها ينسال سريعاً.

- اربط الغترة على رأسك يا واد.. (صك) صدرك زي الناس لا يصفقك الهواء.. فين ولت (زنوبتك)؟!

تلقي أوامرها ويداها الخشنتان تقومان بكل شيء. (لماذا تأمرني وتنفذ نيابة عني؟ أمي حنونة وأنا شيطان!.) قلت لها مرة:

- هاتي الغترة وأنا أربطها!

لكنها ضربتني على كتفي، وأخذتني بسرعة إلى الدار، قائلة وكأنها تخاطب المجهول. ونجمة الزقاق الوحيدة:

- فين أبوك.. يشوف همي!!

● فين أبويا من زمان.. يا أمي؟

- مسافر!!

● سفره طول؟!

- طول.. طول.. إنه هناك خلف النجوم العالية من ذلك اليوم وأنا أسرح في الخرائب بانتظار النجوم الصفراء العالية، ربما يسقط أبي من وسط نجمة، آخذه إلى أمي، أدفئها به، تبرد كثيراً منذ غادرنا، تبحث في ظلام الليالي الباردة عن اللحاف وأنفاسنا، تغطينا، تغطي نفسها، لكن البرد كان واضحاً في طقطقة أسنانها الشبيهة بصوت النسيج. كان البرد يكلل جدران بيتنا الطيني الصغير إلى أن ينفذ شعاع شمس الزقاق فيغطي رواق بيتنا وغرفه المخنوقة.. حينذاك ننطلق جميعاً، أمي لتجلب الماء. تغزل جريد النخيل المبلل لتصنع منه القفف والمكانس. تذهب إلى باب المصري تسوق هناك غزل يديها. تعود ومعها الخضار والطحين. انطلق. ينطلق إخوتي الصغار في منحنيات الحوش.. رداؤنا الأرض الطينية ولحافنا شمس الزقاق

الحادة. اللامعة، مثل مسحوق اللؤلؤ.. لا تقلق أمي علينا إلا في المساء.. تترك الدار فيما يشبه برنامجها المسائي عالية الصوت..

- فينك يا علي.. فينك..؟!

لا أدري لماذا أمي وهي تناديني أنا بالذات وكأنها تنادي على أبي؟ هل أشبهه كثيراً؟ هل سأذهب خلف النجوم العالية؟ كان بودي أن أقول لها، لا تنادي كل مساء فينك يا علي؟ ذلك يخيفني.. يزيد إحساسي بالبرودة والضياع وسط خرائب الحارة!!

* * *

الجـراد(*)

على مشارف الزقاق، تقع «البلاجية»، غابة مليئة بأشجار الأثل الفارعة الطول، تحت الأشجار أرض صفراء قاسية، بئر مهجورة، أحواض زرع نشفت حدودها وأصاب قيعانها، التشقق، وفي البعيد بقايا وغرف طينية، لم يكن في تلك البقعة من سبب يجعل الحياة ممكنة، لكنني كنت أرحل كل صباح إلى هناك، أجلس على تلة تشرف على غابة أخرى، تحتها تماماً كان يجلس الأحنف ومعه الناي، وعلى وجهه ابتسامة بلهاء باهتة، لم يكن لينظر خلفه أو أمامه، كان يجلس حالاً ويشرع في إرسال نغماته، تساءلت أكثر من مرة: لمن يعزف النغمات الساحرة؟ لكنني لم أجرؤ على طلب إجابة مباشرة. كنا نتحاشاه، نراه من بعيد، تأتينا نغماته الشجية، لكن أحداً لم يقترب منه، يحدثه، يعاكسه،

*) من مجموعته: رائحة المدينة.

هناك من يقول إنه يعزف للجن، ومن يقول إنه يتخيل عقارب وثعابين لترقص على نغماته، لكن حمدان الأعرج تحدث ذات مساء، فقال بثقة كاملة «إن الأحنف يعشق واحدة من بنات البادية، شاهدها وهي ترعى الأغنام في «البلاجية»، يوم كانت عامرة بالأشجار والعصافير والمياه والحشائش، وحالما شرع في العزف على نايه ليلفت نظرها إليه، انشقت الأرض وابتلعتها مع أغنامها وعصاتها الصغيرة، من يومها تحولت البلاجية إلى أرض قاحلة، وتحول الأحنف إلى كائن مغروس لا يميزه عن الكائنات الجامدة إلا الناي الذي لم يعد يفارق شفتيه.

كلهم كانوا يقولون ذلك، لكن أحداً لم يجرؤ على الاقتراب منه، وطرح ما يدور عليه مباشرة، واحد فقط، علل خشية أهل «الزقاق» للأحنف، لرواية نقلتها عجوز تذهب كل عصر آلى الحقول الواقعة في الناحية الجنوبية للبلاجية لحصد البرسيم والنعناع والبقدونس، قالت العجوز لابنتها الأرملة، بأنها رأت الأحنف، جالساً على تلة الغابة ودمعه يسيل كالزيت، رقت لحاله وسألته عن سبب بكائه، لكنه تجاهلها، كفكف دمعه ونزل من مقعده وأخذ يقذفها بالحصى صائحاً بأعلى صوته «جنيه..

جنيـه.. » من يـومـهـا كفـت الـعجـوز عـن الـذهـاب إلـى الحقول، وقبعت في بيتها ترجف من الهلع، حتى طلع سرها الإلـهـي، بعـد تلـك الحـادثـة زاد تحـاشـي الـنـاس للأحنف، يرقبـونـه من بعـيد، يرصـدون ما يطرأ عـلى حركاته وسكناته من تغيرات، ثم يتداولونها فيما بينهم باهتمام زائد.

تلك هـي الأسباب وحيثيـاتـها فلماذا أجلس الآن مترقباً صدى نـغمـاتـه؟ هـل أصبحت مـشـتـاقـاً لحبات الحصى؟ أم أنني مدفوع بحس داخلي لرؤية ما يؤرقه، لأعود للزقاق وفي داخلي الخبر اليقين؟ قد تساهم رؤيتي في حل أزمة الأحنف وإسدال الستار على كافة الأسئلة والتكهنات، لكنني لا أنوي تحقيق انتصارات تذكر، لدي ما يكفي من الهموم فلماذا الانتصارات؟ كل ما حولي جامد فلماذا الاهتمام بالمتحرك الوحيد في هذه البيداء القاحلة؟

دللت رجلي. أدخلت أصابعي في فمي وأطلقت صفيراً عالياً، لكن الأحنف لم يلتفت، كان منهمكاً في إرسال نغماته، الغابة من حوله هادئة، عدلت عن الصفير

وناديت بأعلى صوتي «خذ.. يا أحنف». ولم يأتني غير الصمت وصدى النغمات. أخذت أبحلق في الفراغ وأشجار الأثل وتشققات الأرض التي شكلت مع الأيام ما يشبه المربعات والمثلثات المنفصلة عن بعضها. أرسلت النظر إلى فوق، كانت السماء صافية، لكن سرباً من الجراد بدأ يتقاطر على مهل ثم يحط على قمم الأشجار والمربعات والمثلثات الطينية الناشفة، غامت السماء قليلاً، نزلت سريعاً، أخذت أطارد الجراد، أركض خلفه وأخبئ ما اصطدته في جيوبي، شعرت بسعادة طاغية، بطفولتي تعود «بعودة الأيام..» كنا نقولها ونحن نركض في الحقول والغابات الصغيرة خلف أسراب الجراد، نجمعه في أشولة وصفائح ثم نغرسه في الأسياخ، ركضت كثيراً، لأجد نفسي دون أن أدري بمواجهة الأحنف، هش لي، ابتسم، كاد يصفق، وضع الناي بجانبه وأخذ يركض معي في الخلاء بحثاً عن أسراب الجراد الخشنة الصفراء.. كان صامتاً وودوداً.

نوفمبر 1989م

* * *

عبدالإله عبدالقادر

الإمارات. أصدر عدداً من المجموعات القصصية منها هموم علوان الأحدب (1990)، مرثية كلكامش (1991)، رحيل النوارس (1992)، طلب لجوء (1996)، اليانكي (1999).

باقة الياسمين

أزيز الطائرات يثقل سمعها، وتعب الرحلة يجعلها لا تتحرك من المقعد منذ هذا الصباح، لا تدري لماذا أحست أن حدثاً جللاً سيحل بها هذا اليوم، قال لها في آخر مكالمة هاتفية إنه سيدخل المستشفى، ولم يفصح عن أسباب هذا الدخول، لكنها فوجئت برسالة على «الفاكس» تصلها وهي في عملها..

«أخاف.. الزمن.. والأقدار..

أنا أثق أكثر بخبث المرض..

حينما لا تعثري عليَّ.

ضعي وردة في مكاني.. ».

منذ أن تعرفت إليه اختلفت حياتها وتبدلت، وشعرت بتغيرات عميقة رغم كل تجاربها السابقة وحياتها الطويلة، لكنه استطاع بأشهر قلائل أن يلغي كل تلك الحياة بتفاصيلها، وتبدأ حياة جديدة ملؤها العطف والحنان والدفء، أحبت كل شيء معه، لكنها ظلت خائفة من الجانب الآخر.

إن آلاف الأميال تفرقها عنه، هو معها كل دقيقة، يكلمها كل ساعة، يلتقي بها كل شهر، لكن هل كانت تنتظر هذا القلق والترقب، كانت تخاف أكثر كلما حثت الخطى للقائه، تخاف رعب السفر وساعة الافتراق، لحظة اللقاء والاندماج، لقد اختلط عليها بكل ما يدور حولها، حياتها، بناتها، عملها، فرح اللقاء وخوفه، أحاسيس متناقضة بين السفر والسفر، يتصاعد شوقها إليه، فتصبح متوحدة بكل كيانها تبكي وجداً وحباً وشوقاً وكبرياء.

كان هو الآخر يظل ينتظر. أصبحت كل أيامه انتظاراً

وترقباً. خمسون عاماً أحرقها في مقاهي المدن وغربة البلدان لكنه لم يعرف الحب، ربما كانت لحظات حب قد مرت عليه، وربما أحس ببعض النساء يحاولن طرق أبواب عواطفه، لكن لم تستطع إحداهن أن تدخل عالمه.

- علق ذراعه في وسط الساعة.

تك.. تك.. تك.

الوقت عذبه كثيراً.. يجلده.. يقتله.

تك.. تك.

أما هو فيظل متشوقاً ينتظر أن تدق ساعة وصولها.

أوت إليه مستسلمة مطمئنة..

- آه لو عشت أيامي كلها في معيته.

- تهاتفه كل ساعة.

- ويكتب لها.

ساومت كل الصغار أن يبيعوني نصف أعمارهم.

كي أظل معك.

كي لا أموت سريعاً.

قبل أن أرى ينبوع سرك.

ترى؟!

متى تأمين؟!

هكذا كلما كتب لها.. تسارع الريح لتصل المطار.. وتأخذ أول رحلة متجهة إليه.

كانت تتمنى أن تلغي الأمكنة، وتختفي المدن، وتضمحل المسافات، كانت تخاف أن يضيع في زحمة المدن، وكان يخشى أن ينتصر عليه الزمن، يلغي الأمكنة والمدن والزمان، كلما اضطر أن يصطحبها إلى مطار العودة، إن أكثر من غل وقيد يمنعهما من العيش معاً، لقد التقيا في الزمن الخطأ، وفي الوقت الضائع، لا هو يمكن ألا يكون هو، ولا هي يمكن أن تكون غير هي، إن هناك من يتعلق بهما، ويحتاج إليهما فوق كل عواطفهما وأحاسيسهما وحاجاتهما لبعضهما، واليوم أدركت كم من الضروري أن تكون معه وقد قرروا إدخاله غرفة العمليات.. أخفى عليها مرضه، لكنه اضطر أن يكتب لها..

- أنا في محطتي الأخيرة..

لن أملّ انتظارك..

المساء جاء..

والصباح جاء..

ومساءات.. وصباحات «جاؤوا».

وأنتِ لم تأتِ.

أعادت قراءة كل رسائله وهي جالسة على مقعدها في الطائرة المتجهة إليه.. كم كان يحب الورد، ويحب طيبة الناس، كم كان جميلاً في حديثه ولباقته، وكم كانت هي الأخرى لا تحب إلا ما يحب.

الطائرة تستعد للهبوط خوفها يتضاعف.. تدرك تماماً أن هذه هي المرة الأولى التي لن تراه فيها عند بوابة المطار وأن عليها أن تتوجه إلى المستشفى مباشرة.

حينما وصلت المستشفى.. لم تره على سريره.. ولم تشم سوى رائحة الكافور..

وضعت باقة الياسمين على مخدته.

وبكت....

* * *

علـــــي الـــشـــدوي

(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات. مجموعته الأولى تحت الطبع.

سوق العلوي

في ذلك الصباح أخبرها بزيارة أبيه المفاجئة.

منذ تلك اللحظة لم تهدأ، ناقشت معه ما يمكن تحضيره وما يمكن استعارته من الجيران، كنست الدرج ونظفت مجلس الرجال وأعادت ترتيب المساند المهترئة، أزالت البساط القديم وفرشت البساط الجديد المحفوظ لمثل هذه المناسبات الطارئة.

في غضون ذلك اتجه هو إلى بقايا مرآة معلقة فوق المغسلة، حف شاربه وشذب لحيته، لبس ثوباً مكوياً بشكل رديء وكوّم الآخر عند مدخل الحمام، ألقى نظرة

على المجلس فشم رائحة بخور، وقفت إلى جانبه طفلة في سروالها الداخلي فاختلطت رائحتها مع الرائحة التي شمها قبل لحظة، أخرج علبة دخان أبو بس وأشعل سيجارة.

كمن نسي شيئاً ما عس جيبه وأخرج محفظة بالية، عد بصمت «عشرة، عشرين، خمسة وعشرين» أثناء تلك اللحظات تدافعت ذكريات عشرين سنة مثل سيف جارف، كوم في ذاكرته عالماً متكاملاً من الأمل في أن تتحسن أحواله فشعر أنه أحسن حالاً، قبل أن يخرج أمسكت الطفلة طرف ثوبه.

- بابا متى يجي جدي؟

أمسك يدها فشاعت ابتسامة على وجهها، لاحظ أن الفستان الذي لبسته أقصر منها ولأول مرة ينتبه إلى ساقيها النحيلتين، قبلها ثم انحدر عبر درج ضيق وسيئ الإضاءة إلى أن وصل إلى سيارته الأجرة، دار حولها ولم ينس أن يركل العجلة اليمنى الأمامية كي يتأكد من مدى صلاحيتها، أدار المحرك ثم انتظر كي تحمى السيارة.

مرت في ذاكرته صور باهتة، من هذه الصور ميز صورة واحدة لأبيه، كان ذلك قبل عشرين سنة حينما صمم على السفر أملاً في أن تتحسن أحوالهم، في ذلك اليوم وقفا آخر القرية، قال له أبوه «جدة مضيعة خلك رجال» ثم احتضنه مثل ماء يمضي إلى البحر لأنه حنينه.

قبل أن يصل إلى موقف باب مكة كان أبوه قد وصل قبله، تفحصه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، مازال على الصورة التي عرفه عليها وإن كان ينحني قليلاً في مشيته كأنما هو نوع من العزة في مقاومة الزمن الطويل الذي عاشه، ركن السيارة واجتاز مشياً مسافة قصيرة لا تعادل ما استحضره من حياة أبيه وأخيراً تقابلا وجهاً لوجه.

- يا الله حيه، يانا فدا من جا.

قال ذلك بصوت أبيه حينما يستقبل الضيوف فتفجر داخله حزن ثقيل لا يمكن إرجاعه إلى شيء ملموس.

أركبه وهو يفكر في حلقة الغنم لكنه تعثر في خمسة وعشرين ريالاً، هبطت به ذاكرته إلى أحد أودية القرية

فكر في جماعته واهتدى إلى أحدهم يعمل حمالاً في سوق العلوي فأجل الذهاب إلى البيت، في الطريق حدثه العجوز عن أن قريته لم تعد مثلما كانت وكيف وأن البعض يتآمر على البعض وإن كان واحد يتمنى المصائب للآخر وأضاف بحسرة «الفلوس تخرب النفوس».

في سوق العلوي تقدم العجوز بصعوبة وسط اندهاشه من الوجوه والألبسة والأحجام والدكاكين، كان معجمه القروي محدوداً لا يسمح له بتسمية كل ما رآه لكنه لم يفكر في التسمية بل في شيء آخر.

- الرجاجيل سافروا واستفادوا.

....

- إلا قلي وانت إيش استفدت؟

لم يكن يعرف الإجابة فشعر بأنه يتلاشى ويختزل إلي مجرد هيكل عظمي.

كأنما سقط في حلم يقظة شرع يسلم على أصحاب الدكاكين ويختار لهم أي اسم يصادفه لسانه، سأل العجوز:

- تعرفهم؟

- في أحد ما يعرف عُمَّاله؟

انفرجت أسارير العجوز وتنهد عميقاً كما لو أنه بقي لحظات بلا هواء، لم يكن يملك نفسه وهو يسير في إثر ابنه الذي إن لم يكن يشفى فهو ينسى، يشكل نسيجاً من حلم اليقظة بحيث يستطيع أن يشير إلى هذا اليوم بقوله اليوم الذي أمتلك فيه سوق العلوي.

قبل أن يخرجا من السوق توقف به أمام أكثر من عمارة، سأل الواقفين أمامها عن المستأجرين وصحتهم، لم ينس أن يوصيهم ببذل أقصى الجهود من أجل راحتهم ووعدهم بأنه ستضاعف رواتبهم إن هم اهتموا واجتهدوا، كان هؤلاء كالصم ينظرون إليه بنظرات لا تمت للموقف بصلة.

عندما دخلا إلى البيت وجدا صفاً من البنات، سلمن على جدهن بحرارة، وحدها الطفلة الصغيرة التي شعرت بعدم قدرة جسدها النحيل على مزاحمة أخواتها فانتظرت حتى جلس، دارت حوله وشعرها محلول يقطر بالماء.

....

- أنا أبوك ليش البنات بهذي الحالة؟

- ما ظنيت أنك تبخل عليهن؟

أمام تعليق أبيه شعر بأنه يحمل شيئاً أكبر من حمل نفسه، ربت على كتف الطفلة ونهض كشجرة غاصت جذورها حد الإنهاك متجهاً إلى المطبخ.

حينما غاب أبوها حامت الطفلة حول العجوز بطريقة غامضة قبل أن تكتشف ما تريد.

- جدي اعطني ريال أشتري آيسكريم.

* * *

عبدالله التعزي

من مواليد (السعودية)، روائي، أصدر مجموعة سيد الطيور (1998).

قصص قصيرة جداً

انتظار الطريق

خلع جزمته وترك الهواء يتسرب من مسامات الشراب الصغيرة إلى قدمه المبللة. كان جالساً على طرف الرصيف في الشارع كمن ينتظر أحد سيأتي بعد قليل. أمامه تستند على بعضها عربة سفر حديدية رصت عليها ثلاثة صناديق صغيرة. كان يسند رأسه على ظهر كفه الأيمن ويسند مرفقه على ركبته ويحدق إلى الأمام مرسلاً نظراته من بين مقابض العربة التي أمامه. لم يكن له هدف محدد من التحديق ولكنه فقط يطالع؛ ليمضي

أكبر فترة من الوقت، قبل أن ينظر إلى الساعة. يقاسمه شعور بالوحدة وهو يتطلع فقد وجد نفسه فجأة في زحمة الشارع ولا يعرف أين يتجه.

يعرف الطريق المؤدي إلى المنزل ويعرف الطريق المؤدي إلى العمل ولكنه فضل الجلوس على الرصيف ربما يعرف طرقاً أخرى أكثر جرأة وأبعد اتجاهاً.

عينها

في موسم الجفاف يكون المطر المفاجئ فرحاً وتتحول الأرض الحارة إلى شيء يشبه المهرجان. في وسط هذه المياه المنهمرة كنا نحاول أن نخرج الفرس من وسط بركة المياه التي وقعت فيها. جسمها الأسود يلمع تحت وهج الشمس البارد. حبالنا مربوطة في ثلاثة مواقع. اتفقنا على أن نسحب من طرفين والثالث للموازنة. كنت أسحب بقوة، وقد شعرت أن قطرات العرق قد تفصدت من جبيني.

كنا نحاول أن نخرجها من بركة الماء وكانت خائفة ترتجف. عيونها تتحرك بحيرة وقد اتسعت كثيراً.

اعتقدت للحظة أن رأسها سيتحول إلى عينين. صهيلها المتواصل مع قفزاتها تفزعني وتربكني.

عندما تهدأ وتبدأ بالصهيل المتعب، تجتاحني موجة بطيئة من الحزن. لم نتركها رغم عودة المطر بشكل أغزر من قبل. بدأنا نشعر كأن الحفرة تتسع. تطلعت إلى عين الفرس وهي ترتجف؛ ناظرة إلى المياه التي تتكاثر حولها.

كانت ضخمة جداً، تبدو كأنها انتفشت بالمياه. تعبنا من الشد وهي لا تساعدنا. ارتخت سواعدنا. انزلق أحدنا تحت أقدامها. ارتجفت كثيراً وبدأت بالقفز بقوة والمطر مستمر يجلو جلدها الأسود.

الظل

- هل أنت سائر على الطريق الصحيح.

كان تساؤله كهمس يتسلل إلى أعماقه في ظلام الغرفة التي يجلس فيها، والصمت يحيط بنا تماماً.

الضوء يتسلل إليه من عقب الباب بخوف زاده هيجاناً، لكنه لم يتحرك. يدرك أنه لم يكن يقدر على الصراحة بما يجعله يعترف بالحقيقة. ترقبه المستمر لهذا

الظلام يقلقه كثيراً على إدراكه. لم يكن يحب السواد من قبل ولكنه الآن وبعد ساعتين من التحديق المستمر في السواد الباهت، يتعجب من تحمله.

بدأت وساوسه تتشكل أمامه كخوف فانتفض واقفاً، اتجه نحو الباب وفتحه ببطء. انعكس ظله على جدار الحائط فبدا عملاقاً أسود يتربص به. التفت إلى ظله وكأنه تذكره. تطلع إليه ملياً ثم أغلق الباب ليستمر في تحديقه الصامت وصدى وساوسه يبتعد خارجاً من الغرفة.

نزول مستمر

مغلق برائحة الدهشة والمرض مع تناسل الإراد من عينيه معلنة الرغبة في التقدم إلى أي مكان رغم جلوسه الممرض على ذلك الكرسي.

أبيضّ قليل من شعره. تفتحت أذناه الهامسة حوله. حاجبه الأيمن ارتفع بقليل من الاستغراب وبدأت شعيرات رأسه بالتساقط على مهل. استمر في حديثه القديم الجديد. استمرت الكلمات المتطايرة من بين شفتيه تذكر بفقاعات الصابون البلهاء.

تـتابعت شعيـرات رأسه الـصغيرة الـنزول إلى جوار قدمه المتصلبة، متمسحة بالهواء المحيط إلى أن تكومت بجوار بعضها محدثة صوتاً بطيء الفهم داخل رأسه. توقف هو عن متابعة الكلام ولم يرفع يده بعدها أبداً.

استراحة ممتلئة

عندما تتوقف عن المشي أشعر بأنها قد توقفت عن الحياة، هكذا أحسست وأنا أراها متوقفة. رائحة شعرها لاتزال تعبق في المكان وصوت أنفاسها يتردد في أذني. كنت أجلس على كرسي في طرف الطريق عندما توقفت حركتها خلف النافذة. تتظاهر بعدم الاكتراث لإشارات مني، لكن حقيقة مشاعرها ليست خافية على أحد. أتذكرها عندما تنظر من الجنب ويتمدد بياض عينيها المميز إلى أن يصبح كحد الموت. أحياناً أتراجع عن الاقتراب منها وأشك في قدرة تحملي للانتظار.

الحركة حولي هدأت. هززت رأسي مبعداً كل شيء عني. وقفت شاداً جسمي إلى أعلى وواصلت السير بعد تلك الاستراحة القصيرة.

التحليق بعيداً

جهود اللحظة الأخيرة في الصعود إلى المركب هي المتعبة. يتناسى الصياد كل التعب السابق لرحلة الصيد ليتكاسل عن أداء عمل بسيط مثل رفع المرساة أو شد بعض الأغراض على المركب. السماء صافية والجو يبدو ممتعاً للصيد. لم يعرف ماذا يعني الصيد بالنسبة لهم غير تلك المتعة في القتل وإصعاد الأرواح إلى السماء.

كانا يبتسمان لبعضهما وملامح الاستبشار على الوجهين. الفشل المحتوم في المرة السابقة هو الدافع الحقيقي لهما في هذه الرحلة البحرية. لقد توقفوا عن الحياة وأصبحوا في نشوة انطلاق اللنش واندفاع الهواء بجوار آذانهم. الأول يقف ممسكاً بالدفة والآخر يجاهد في البقاء متوازناً.

عندما ابتعدا كثيراً عن الشاطئ ولم أعد أميزهما، أصبحا نقطة سوداء لا تفترق كثيراً عن طيور النورس المحلقة في الأفق. كانا يرتفعان في الأفق إلى أن اقترب سرب من الطيور، فلم أعد أفرق بينهم وبين الطيور، وإن

كنت أعتقد أنهما قد انضما إليهم وأخذا في التحليق، ذلك أنهما لم يرجعا من الرحلة البحرية، التي بدأت قبل سبع سنوات.

* * *

محمد
علي
قدس

من مواليد (1948) (السعودية). أصدر العديد من المجموعات القصصية، منها: مواسم الشمس المقبلة (1982)، النزوع إلى وطن قديم (1984)، آخر ما جاء في خبر سالم (1995).

للشفق خيطٌ أخير

(1)

شمعة واحدة أضاءتها، وقد انحسر ضوء النهار.

ندت عنها بشغف نظرة متلصصة، حيث كانت الشمعة تتوسط كعكة الشوكولاتة! تذكرت يوم لقائهما الأول. الآن تتساءل لماذا كعكة سوداء، مضى عام على ارتباطها به، أرضها ثبتاء وسماؤها ملبدة بالغيوم حيث لا طل ولا مطر! كانت الرؤية غير واضحة.. قبل قرن لا تذكر سنواته وساعاته اختاروه شريكاً لحياتها، كان قلبها يتجه تجاه آخر، شمسها تشرق في وجه آخر..! استسلمت

لقدرها يوم أول لقاء معه أحست بانقباض وهي تلامس يده، لكنها أودعت خيالاتها وأحلامها في مخيلتها واعتادت عليه، اعتادت على أن تخفي مشاعرها وتظهر في وجهها ما لا يكتنفه داخلها، واعتادت على القيد الذي يشدها إليه، والقبلة التي لا تحس بها، وهي ثاوية في أرض تعلم أنها جرداء، كلما أطلت في عينيه الغامضتين عن قرب، أدركت أن سنين عمرها تضيع.

(2)

أرادت أن تفاجئه بكعكة سوداء وشمعة واحدة، ذكرى رومانسية مفقودة ومشاعر تعلم أنها تفجر صرخات في أعماقها، انتظرت عودته ليفتح الباب عند كل مساء منتشياً، وهل تجرؤ على عتابه أو سؤاله عن المكان الذي هو قادم منه، تعودت أن تصمت.. وتعودت أن تقتلها الأسئلة وينتحر في داخلها الصمت! الليل قد انتصف ولكنه تأخر.. قميصها الأحمر تبلل بدموعها والشمعة الوحيدة يخفت ضوؤها..، بدا وجهها من الناحية الأخرى معتماً كئيباً.. وأسلمت نفسها للذة النوم!

(3)

انتظرت.. ولازالت تنتظر منذ قرن.. منذ دهر وعشر شموع تقطر دماً.. تنثال أسى على كعكة إسفنجية سوداء بدا وكأن خيوطاً عنكبوتية تربطها بمقعدها حيث تجتر أحزانها..

وحيث تسبح في بحر لجي تغعوص فيه وتطفو، شاحبة الوجه تنتظر منكسرة النظرات وفي ألم تصطبر، يخفق قلبها ببطء ورتابة.. كرتابة الوقت والليل والوحدة، انتظرت ولازالت تنتظر سنوات عشر عجاف وهي لا تجرؤ على البوح ولا حول لها ولا قوة، كيف لها أن تكسر إسارها وتحطم القيد الذي يعصر قلبها. حيث قيل إن من خفق له قلبها.. واتجهت بوصلتها نحو إشراقة وجهه، لازال يعتصم زاهداً أسير حزن حرمان وذكريات، أحست بمخاوف تسبل أهدابها على قلبها ويغشاها موج كالظلل.

(4)

كانت عقارب الوقت تزحف في حزنٍ نحو منتصف الليل، خيالاتها تهيم ولا تلبث حتى تتلاشى.. بعد أن

تفتحت زهور الشوق في صدرها، بدا وجهها معتماً بعد أن خفت ضوء الشموع. قامت تحمل الصغيرة إلى فراشها وأخوها تستسلم جفونه للنوم، وهو يقرب أمه من طرفٍ خفي، غير عابئ بكل شيء!

انتفضت لإحساس يهز داخلها.. ورغبة جانحة تستضعفها.

لم تلحظ كيف أهدرت النار روح شموعها العشرة، سفحاً على كعكة سوداء تطامن حزن قلبها، مسدت على بطنها المنتفخة وهي تغالب حمى رغبة ملتاعة، وفي أحشائها حزن قادم يضيق القيد الذي يشدها إليه.

* * *

حسن عيسى المحروس

البحرين.

الأسدية

كان يوماً مشهوداً في حي النعيم كله. تجمعوا من كل مكان فيه يترقبون حدوث المعجزة. العذاب سوف ينزل بِمَنْ يحاول قلع شجرة السدرة «الأسدية».

- كلام نسوان والله.

- قبّح الله الشاك يا ولدي؟

ما كانت «الأسدية» تورق إلا في أغصانها العلوية فقط، ووسطها أشبه بساق شجرة ميتة يابسة. أما الجزء الأسفل، القريب من الأيدي فقد صار قطعة من عود البخور لكثرة ما شرب من «عطورات»، وماء الورد.

ولكثرة التمسح به صار ءأملس تنزلق اليد عليه. ساق بني اللون يشتاق الجميع لشم رائحته وتقبيله.

تسلق «الأسدية» لم يكن محرماً، فالأطفال يتسلقونها يومياً للعب واللهو. لكن أية محاولة لإيذائها محرمة وكبيرة، لن يسلم من يؤذيها من خسف أو بلاء يحله. يأتيها الناس من كل مكان بالحافلات الكبيرة في صورة أشبه بالحج الرهيب، حيث تقام عندها «النذورات» ويطلب التوفيق في الحياة، والنجاح في المدرسة، والأعمال.

وإلى جنب «الأسدية» كانت نخيلات ثلاث يربط السيد حسن عندها حماره وعربته الخشبية. يقول السيد: إنه جاء إلى حماره ذات صباح فوجدها تتحرك بحركات غريبة لم يرها منها منذ عشر سنوات، وكان رأسها يدور. يقول: عرفت عندها أنها نائمة.. أولاد الحرام سقوها شراباً ليلاً!!.

وعندما تلد امرأة في حي النعيم وما جاورها يجلب إلى الأسدية ما كتبه الله من حلويات، و«رشوف» تلك الأكلة الشعبية التي تصنع بعد ولادة المرأة.. لذيذة.. ولن

يفوت الأطفال ذلك أبداً.. يأكلونها بأيديهم إذا نقصت الملاعق. وهي دائماً ما كانت تنقص!! وبعض النسوة يضعن قطع النقود المعدنية في الرشوف زيادة في البركة.

قليلون هم الذين يقتربون منها ليلاً، فحمارة السيد تبدو مخيفة عندما تحرك أذنها البيضاء وهي نائمة. وقربها من المقبرة المظلمة له دور في ذلك. تقول إحدى النساء إنها سمعت الأسدية تئن ليلاً! وفي الصباح تفقدها بعض نساء الحي فوجدن آثار منشار في جدعها، وسائلاً أحمر يسيل منها. قالت النساء: إنها الدماء تفجرت منها، وأن الفاعل لابد أن يخسف به أو يهلك:

- يريدون أن ينزل علينا العذاب..

- إن شاء الله ما ينام هذه الليلة ولد (...)؟

- الآن نسوا فضلها عليهم.

- قبّح الله الشاك يا بنتي.

الأيام تجري وأثر المنشار في قلوب النساء والشجرة صارت ذكرى لقصة لا تنسى، ترددها النساء لكل زائرة، وزائر. وقبل مغادرة الأسدية يقبلها النساء في مكان أثر المنشار.

وفي يوم تمنت النساء لو أنه لو لم يكن فيه على قيد الحياة، جاء الخبر من رجال الحي وانتشر بين النسوان:

- أصحاب الأرض يريدون بناء منازلهم في مكان الأسدية.

- مـ.. مـ.. مكان الأسدية؟؟

- والأسدية؟؟؟!

- لا يمكن.. حرام.. الله ينزل عليهم العذاب.

- قبّح الله الشاك يا بنتي.

انتشر الخبر في الحي فبدد الهدوء الرتيب. بعض النساء لم يصدقن الخبر. وأخريات لم ينمن ليلة ذلك اليوم. آمنت النساء بحدوث معجزة تخسف بكل من يحاول قلع الأسدية.... دبت حركة نسائية كبيرة لا نظير لها في تاريخ الحي. ولم يتأكد الخبر إلا بعد أن جاءت شاحنة كبيرة توقفت بجوار الأسدية. نزل منها ثلاثة آسيويين، وسيارة أخرى صغيرة توقفت بعيداً نزل منها رجل قيل إنه صاحب الأرض. يبدو عليه الاضطراب وحركاته غير مستقرة.

انتشر الخبر فتجمعت النساء بسرعة على مسافة

منها ، وبعضهن يرقبن الحدث من نوافذ وشرفات المنازل المطلة على الأسدية، فكان لهن دوي وضجيج. الآسيويون مندهشون وخائفون. بعض الرجال واقفون، وكثير من استنكارات النساء بعضهن قذف الآسيويين بالحجارة حتى كاد أحدهم الهرب لولا صاحب الأرض:

- الله يخسف بهم ولا يرجعون سالمين.

- قبّح الله بعض الرجال.

- رجال على النسوان فقط؟

- رجال في الليل ليس أكثر.

- لا أحد يستطيع قلعها مهما فعل.

- قبّح الله الشاك يا بنتي.

الأطفال فرحون، ينتظرون الورق الأخضر الذي ما كانوا يصلون إليه، الأخضر يهبط إليهم لأول مرة.

الدوي صمت فجأة، وقلت حركة النساء عندما لف أحد الآسيويين الأسدية بحبل غليظ عدة مرات، وشد طرفه الآخر بمؤخرة الشاحنة. تدخلت إحدى النساء الواقفات معارضة؟ لكنها سرعان.. هدوء تام.. ترقب

المعجزة.. البلاء.. صعد آخر إلى الشاحنة وأدار محركها المزعج. احمرت وجوه، وغادرت أخريات خوفاً من مشهد الخسف، بينا أغمي على إحداهن قالت النساء: إنها حامل. تحركت الشاحنة فاشتد الحبل. اشتد أكثر، أكثر. عجلات الشاحنة تدور بسرعة لكن الشاحنة واقفة لم تبرح مكانها. زاد السائق سرعتها فانقطع الحبل، وانطلقت الشاحنة إلى الأمام بسرعة دون فائدة! ارتفعت الصلوات، والتكبيرات، وزاد التمسك بالأسدية. آمن رجال واضطرب آخرون. غير السائق خطته، إذ أضاف سلسلة حديدية إلى الحبل وجعلهما مرخيين ثم انطلق بأقصى سرعة.. ارتفعت.. ارتفعت الشاحنة من الخلف، والعجلات تدور في الهواء.. ارتفع صوت المحرك وشغل المكان. رأى الجميع دخاناً كثيفاً ينبعث من المحرك الذي توقف فجأة.. احترق.

علمت النساء فارتفعت الصلوات بأصوات واضحة متحدية. وما إن غادر العمال المكان حتى انطلق الناس نحو الأسدية... يقبلونها. بكت النساء عندها، ووضعت الخدود عليها فأخذت أشكالاً جديدة. وطلبت أخريات منها الصفح والعفو بصوت حزين. كانت أكتاف النساء

تهتز.. بكاء.. تحسست امرأة مكان الحبل والسلسلة في خوف.. قد تتألم، وما إن لامست أصابعها موضع الاحتكاك حتى ارتعشت.. موضع النبض.. ومررت الثياب على موضع الاحتكاك تبركاً. جمعت الأوراق الخضراء، فنقعت في الماء، وسقى منه الأطفال، ومسح به

لزيارة الأسدية في ذلك اليوم.. الثقة كانت كبيرة في فشل المحاولة الجديدة لقلع الأسدية.... الصلوات لم تنقطع. ستكون المعجزة أكبر اليوم، وإيمان نساء حي النعيم راسخ لا يتزعزع. الخسف سيكون شديداً على العاملين. لم يعترض أحد هذه المرة، ولم تستنكر النساء، فالبلاء واقع بالأعداء لا محالة. هي التي ستدافع عن نفسها كما فعلت من قبل.

تقدم السائق من الأسدية وأخذ ينظر إليها بإمعان. ينظر إلي الأرض تارة، وإلى الأسدية تارة أخرى.

- مجنون.

صعد الجرافة وأدار المحرك. تقدم نحو الأسدية فعم الهدوء. وجه إليها ضربات عديدة بمقدمة الجرافة في عدة مواضع كان صداها في قلوب النساء كبيراً. عشر دقائق. تسلق السائق الأسدية وربط حبلاً غليظاً في أعلاها، وشد الحبل إلى الجرافة. تقدمت الجرافة ببطء شديد وثبات وحذر إلى الأمام.. مالت.. مالت الأسدية قليلاً قليلاً! وكلما زاد ميلها، واقترب أعلاها من الأرض زاد الخوف، وعم الصمت؟! ها هي الأميرة تقوم بجذورها

الضخمة من التراب مخلفة حفرة عميقة، وكبيرة مكانها. واصلت الجرافة طريقها تجر الأسدية نحو ورش القلافين «صناع السفن» عبر طرق الحي مثيرة غباراً كثيفاً حجب الرؤية قليلاً.. ركض الأطفال خلفها يكركرون ويتضاحكون.

- صعدت إلى السماء في صف شجرة....

- سترجع يوماً وهي خضراء موردة في كل بيت منها غصن أخضر ينزل من السماء قبل صلاة الفجر.

- قبّح الله الشاك يا بنتي.

* * *

فاطمة الرومي

(السعودية). نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات. مجموعتها القصصية «سكوتها علامة» تحت الطبع.

ليلة فرح

كان حضوري هذه الليلة لحفلة زفاف ابنتي الكبرى مختلف عن حضور أي أم لليلة كهذه، جاء تواجدي كأي مدعوة أخرى. خالجني شعور بأنني لم أكن سوى ضيفة شرف تحمل لقب أم العروس.

وحدها سارة (ابنتي الصغرى) من تمنحني هذا الشعور بالسعادة في هذه الليلة. هذا الإحساس الذي سلبت إياه لا لذنب اقترفته سوى أنني أصبحت امرأة مطلقة.

وسط هذا المكان العابق بالفرح والزغاريد داهمتني

هواجس الماضي: لم أكن وحدي المسؤولة عما حدث، لكنني أنا من حملت هذه الوصمة التي تتيح لمن حولي أن يمارس علي سلطته الجائرة إذ لا يتوانى عن نعتي بكل لقب يحملني مسؤولية انهيار صرح أسرة كانت في طور التكوين.. حتى اتخذ زوجي وأسرته من ذلك سبيلاً إلى حرماني من أبسط حقوقي دون شفقة أو رأفة بحال ابنتي الصغيرتين.

كان عتبهم مارداً، وصوتهم واحداً: كان عليك أن تصبري.!

هذه الليلة فقط تمنيت لو أنني صبرت واحتملت كل ما أصابني في سبيل بقائي إلى جوار ابنتي.. ففرحة سارة بوجودي معها في حفل زواج أختها هذه الليلة تعادل سعادة الدنيا وتضمد كل جراحات السنين.

* * * *

فيما الحاضرات يرتشفن كؤوس الفرح والعروس ترفل بالبياض والعذوبة؛ لتستدير نحو باب الجناح الخاص بها. اقتربت منها. ضممتها إلى صدري بشيء من الحرص حتى لا أفسد شيئاً من زينتها، متأملة جسدها الغض

الذي نما بعيداً عني حتى أصبحت عروساً رائعة. دقات قلبها، وبريق عينيها تشيان بسعادة غامر تمنيت أن تدوم، لكنها لم تظل سوى للحظات لتغادر نحو عوالم جديدة.

بينما كانت سارة تلتصق بي من الخلف التفت إليها باسمة وهي تنظر إلى صويحباتها تتراقص في عينيها مشاعر الفرح وهي تمسك يدي بزهو.

خلت أنه لم يكن هنا أحد أكثر سعادة منها، تماديت في تخيلاتي ولم أنتبه إلا وهي تهز يدي:

ماما.. ماما.. الجوال.

رددت فوراً: نعم.. ليأتيني الصوت من الطرف الآخر:

هيا.. ألم تنتهي بعد؟. لقد تأخرنا يا امرأة.

أجبته وأنا أتأمل في وجه سارة: بلى.. بلى سأخرج حالاً.

ما إن نطقت بهذه العبارة حتى شعرت بكفها الصغيرة تقبض على كفي بقوة. غاضت أنهار الفرح في

عـينـيهـا ، لـتـنـهـمـر شلالات حزن مـالحـة شعـرت بملوحـتـهـا تنسكب على جراحات قلبي فتدميها.

جثـوت عـلـى ركـبـتـي لأصبح فـي مـسـتـوى طـولـهـا. احتضنتها بحنان. خيل لي أثناء عناقها أن دقات قلبنا طغت على صوت طبول الفرح. خلت أن تلك النسوة إنما يرقصن على أوجاعنا.

بدا لي أن الأمر مثير للدهشة!. كيف لهن أن يرقصن بـهـذا الانـتـشـاء؟!. تـرى.. هـل رمـت كـل واحـدة مـنـهـن بحزنها بعيداً هناك قبل أن تدخل هذه القاعة؟!.

رفـعـت رأسـي إلـى وجـه سـارة وغـمـرتـه بـالـقـبـلات المخضبة بالدموع ثم همست لها: حبيبتي سأغادر الآن.. خالك في الخارج ينتظرني، ودون أن تنبس بشيء ضمتني وهي تنشج حتى هممت بالوقوف وهي ممسكة بكفي تسير بجواري.. قبلتها ومسحت دموعي.

عندما وافيت بوابة الخروج قبلتها وضممتها ثانية بينما اكتفت هي بطبع قبلة على كفي وهي تضغط عليها بدفء تود لو يدوم.. سحبت كفي ببطء من بين كفيها وعـيـون مـن حـولـنـا تـرقـب الـمـشـهـد. ارتـديـت عـبـاءتـي،

وناولتني ابنتي حقيبتي وهي تودعني: مع السلامة يا ماما، ثم استدارت إلى الداخل. فيما تلفعت بالسواد عابرة صوب بوابة الخروج حانت مني التفاتة خاطفة نحو القاعة السابحة في أضواء الفرح ونثار الورود، وصوت المغنية السمراء وهي تردد: الليلة ليلة فرح.. كانت سارة في هذه الأثناء تمسح دموعها وتغيب وسط الزحام، ربما تغرق في بكاء صامت.

أحسست بها طائراً كسيراً، وهي ترقب الصغيرات يركضن في أذيال أمهاتهن؛ لينغرز السؤال في قلبي كنصل حاد: ترى من أشعل حرائق الحزن في قلب سارة؟!

أشحت بوجهي خارجة والمغنية السمراء ماتزال تردد: الليلة ليلة فرح.

* * *

إبـراهـيـم محـمـد شـحـبـي

(السـعـوديـة). صـدرت لـه مجموعتـان: «نـزف في ذاكـرة رجـل» (1997)، مـا وراء الأنفاق (1999).

المتبرجة

خرجت ذات نهار شاحبة الوجه قد أرهقها السهر بعدما ظلت أياماً تصارع رؤيا مرعبة أخفت عنا طيلتها ما كان يداهمها من كوابيس.. كانت ترى فيما يرى النائم أن أبناءها يعقّونها بأشكال مختلفة.. بعضهم يهجرها إلى مدن الغيد.. آخرون يتمادون في محو وجهها حتى لم يعد من وسامتها غير القليل، ومضى آخرون يصمونها بالمتخلفة القاحلة.

أقلقها كثيراً ذلك المارد الذي يتخطف بنيها من كل اتجاه دون أن تستطيع منعه.

استنجدت بفرسان طالما عودوها الحماية فوجدتهم قد فارقوا الحياة.. تمادى المارد في التحرش بها وسولت له نفسه هتك عفافها.. قرأت كل التعاويذ وتشبثت بمئزرها غرقت في عرقها وهي تتلفّت يميناً وشمالاً تبحث عن منقذ كانت القرى حولها تتراقص على وقع التحولات التي غيرت كل ملامحها.. لم تعد تستطيع التعرف على واحدة منها كي تفصح لها عن ما داهمها..

حين يئست من أبنائها نادت على الكلاب التي تجوب أزقتها علها تطرد المارد الذي يقترب كلما تراجعت.. الكلاب تتقافز للعق أقدامه بدلاً من أن تنبح لطرده متنكّرة لفضلها في تربيتها بين أحضانها.. ظلت الكلاب تتراكض بينها وبين المارد محركة أذنابها وكأنها تبارك اللقاء..

أخذ المارد يزين لها لذة التحول.. يستعرض حسنات الاقتران به.. لم تستجب لإغراءاته فهاجمها دون تورع.. أنشبت أظافرها في وجهه وسحبتها بعنف فمزقت أوجانه لكنه لم يتراجع.. انتزع من جعبته قلائد من مصابيح وطوقها بها في حين ظلت الكلاب تتراقص محركة أذنابها.

بقيت متماسكة تصد خطواته الزاحفة نحوها حتى قبض على أكتافها بعنف ودفعها فسقطت.. حين غشيها كانت الدماء تسفح وجه الكلاب فيتعالى لهاثها وهي تعبّ منه تارة وتتراقص أخرى.. كانت القرى قد طوقت المكان وكشفت عن سوقها وهي تشهد حالة الاعتداء السافرة في وضح النهار.

القرية دخلت غيبوبة لم تدم طويلاً حتى وجدت نفسها تلد أطفالاً مشوهين.

لم تلبث زمناً حتى احترفت التبرج.. ومارست.... وغدت واحدة من القطيع الذي يتردد على المارد ليتصفح نزواته متى شاء.. وتظل هي تتوسل عطاياه التي ليس آخرها أن يصلها بالعالم فيمعن في ساديته متلذذاً ببكائها.

* * *

حسن النعمي

من مواليد 1959 (السعودية). صدرت لـه ثلاث مجموعات قصصية: زمن العشق الصاخب (1984)، آخر ما جاء في التأويل القروي (1987)، حدث كثيب قال (1999).

ظهر الدنيا

حاول النوم، لكنه عجز. حاول السهر، لكنه ضجر. فتح درج مكتبه. استخرج الرسالة التي وصلته بالبريد. أخرج منها شيكاً بمبلغ عده مرموقاً بحساباته الخاصة. حدق في الشيك عشرات المرات. توقف أمام اسم صاحب الشيك. رجل ذو شأن. رجل ما ظن أن تجمع بينهما الظروف في يوم ما. لماذا هذا الشيك؟ ولماذا الآن؟ ومن أجل ماذا ؟! إنه لا يعرف، بل لا يتذكر. لحظة.. إنه يتذكر الآن. نعم، في حياته شيء يعتز به. إنها جهوده العلمية. هل يعقل أن يكون الشيك تكريماً لجهوده

العلميـة. تسـاءل: لماذا جهوده العلميـة الآن؟ أين هي من التكريم عندما حصل على جائزة عالمية مرموقة منذ عشر سنوات. يومها توقع تكريماً من إحدى المؤسسات المعنية في بلده، لكن لم يحصل أي شيء من ذلك. ليس نادماً، لأنه يعرف أن جهوده لم تكن في يوم ما إعلامية. إذن لماذا هذا الشيك؟! ترى هل هو اعتراف متأخر بإنجازاته العلمية؟ لكن ما يزيد الأمر غموضاً أنه موقع من قبل شخصية من علية القوم، وليس من قبل مؤسسة أكاديمية أو غيرها. وإذا كان الأمر عبارة عن جائزة من أي نوع، فلماذا لم تعلن للملأ حتى يحس بلذتها، ويُشبع بعضاً من غروره ولو أمام زملائه؟

حقاً الأمر لا يخلو من غرابة. رجل في الخمسين، عالم، محقق، وباحث تربو أبحاثه على العشرين. فجأة يجد من يلتفت إلى جهوده العلمية أو هكذا بدا له. الأمر لا يخلو من غرابة حقاً. استعرض تاريخ حياته. تساءل ماذا جد في حياته؟ حياة جادة بالتمام والكمال. من بيته إلى جامعته، إلى قاعة الدرس، إلى المكتبة، ثم إلى البيت.

تزوج بعد أن شاب. رجته أمه أن يتزوج مبكراً حتى تفرح بأولاده، لكنه كان دائماً يؤجل مشروع الزواج. كان ينتظر تحقيق طموحاته العلمية. اغترب عن بلده سنين طويلة. وعندما عاد كانت أمه قد رحلت وإخوته قد تغيرت حياتهم وكثرت التزاماتهم وتغيرت بنية المجتمع من حوله تماماً. فالفقير أصبح تاجراً، وتاجر الأمس أصبح مليونيراً، والذين بقوا على حالهم انشغلوا بلقمة العيش التي صرفتهم عن الهموم الكبرى، أو التي يعتقد أنها كبرى وتستحق التضحية. باختصار كان في واد ومجتمعه في وادٍ آخر. قالوا عنه إنه انطوائي. قبل هذه التهمة ومضى يؤكد قدرته العلمية بالاطلاع والبحث.

عندما بدأ العمل وجد زملاءه يدعونه إلى تحسين دخله حتى ينهض بأعباء الحياة، أو حتى يعيش على ظهر الدنيا كغيره من عباد الله. ولم يفهم أن للدنيا ظهراً آخر غير الذي يألفه. ولم يعرف كيف يحسن دخله. ولم يدر أن دخله يحتاج إلى تحسين أصلاً.

* * * * *

تفحص الشيك مرة أخرى. قرأ المبلغ بصوت بطيء

ضاغطاً على مقاطع بعينها. فكر في الخطوة القادمة. الشيك بين يديه. وهو يحتاج المبلغ حقيقة، لكنه غير متأكد من ملابسات بعينها. هل يذهب للبنك أم ينتظر حتى تأتيه رسالة أخرى تؤكد الشيك أو تنفيه؟! إن ما يقلقه حقاً هو ما قد يتطلبه الشيك من ثمن في المستقبل. لقد أصبح لديه قناعة أن هذا الشيك له مغزى بعيد. ترى ما هو؟ ولماذا هذه الطريقة معه؟ إنه واضح كالشمس. تمنى لو أن صاحب الشيك تفضل وحدد مطلبه. حتماً سيكون الجواب جاهزاً، إما قبول الشيك أو رفضه. يا له من ليل طويل. بل يا له من سهاد يقرح الجفون والذاكرة. تمنى نوبة نعاس مفاجئة تسقطه في الفراغ. وتسقط شرهه المفاجئ تجاه هذا الشيك.

قرر أن يعيد ترتيب المسائل مرة أخرى. عندما ذهب بالأمس إلى صندوق بريده. وجد مظروفاً تشوبه خضرة هادئة. قرأ اسم المرسل إليه بعناية. إنه هو. ثم قرأ اسم المرسل. توقف. أحس بقدر غير قليل من الارتباك. في البيت فتح الرسالة. مجرد شيك، لكن بتوقيع خاص جداً. هذا كل ما في الأمر. استوقفه أيضاً تأخر وصول الرسالة، فتاريخها وتاريخ الشيك يعود إلى خمسة عشر

يوماً خلت. وهذا يدعوه إلى البت في الأمر سريعاً. عليه أن يقرر صرف الشيك أو الاعتذار عن عدم قبوله. بدت له فكرة الاعتذار مخرجاً من المأزق. لكنه عاد وفكر ماذا سيظن به صاحب الشيك إن هو اعتذر؟ يخشى أن ينظر للأمر على أنه عدم مبالاة لا تحمد عقباها. ثم كيف يعتذر؟ هل يعيده في رسالة إلى صاحبه. لكن هذه الطريقة تبدو تقليلاً من صاحب الشأن. إذن، هل يذهب إليه في مكتبه؟ هب أنه ذهب وسأله الحرس عن حاجته. هل يقول لهم إنه آسف لا يقبل شيك مولانا. حتماً ستبدو قلة ذوق منه، وربما يذهب التفسير إلى أبعد من ذلك. أحس أن ماءً بارداً انسكب على رأسه. ارتجف لمجرد أنه تخيل مثل هذا السيناريو. لا عليك أيها الدرويش، قالها لنفسه. ثم قرر أن يحمل الشيك إلى البنك.. على باب البنك نفث آخر مخاوفه وسلم بصرف الشيك. وقف أمام الموظف. عينان في عينين، ويد تلاقي أخرى، وجسد ينحني وآخر يحتوي. نظرة عميقة من الموظف على الشيك، ثم نظرة أخرى بلغة غريبة نحو الواقف أمامه. وبشيء من الأمر قال الموظف:

- هويتك!

تـقـفـز يـده إلـى جـيـبـه. يـسـتـخـرج هـويـتـه. يمدهـا نـحـو الموظف. يقطع الموظف رحلة قلقة من النظرات بين الهوية والشيك ووجهه. يزداد الموظف حيرة فيطلب منه أن ينتظر. حبات عرف نافرة بدأت تنبت على جبينه. أحس بالفراغ من حوله. كل الحاجات انقضت إلا حاجته. يا لها من حاجة غريبة! خامره شعور بسرمدية الزمن من حوله. ها هو هنا منذ أمد لا يعرف قراراه. أحس أن الموظفين ينظرون إليه بريبة. خالهم يتساءلون: من أنت حتى تحمل شيكاً موقعاً من الرجل العظيم؟ يا لها من نهاية بشعة لرجل اعتزل الحياة وانقطع للعلم. هل هذا هو ظهر الدنيا الذي تحدث عنه زملاؤه؟ باطن الدنيا خير له من موقف الانتظار والريبة. بين الشك والشيك ارتخاء الياء العجيب. هم يحملون الشك وهو يحمل الشيك. ترى أيهما أقدر على حسم الموقف؟ فجأة سمع اسمه. اتجه صوب الصوت. قيل له بريبة: اتجه نحو مكتب المدير. أمام المدير وقف عاجزاً عن تفسير ما يجري. واتته الجرأة. سأل المدير:

- لماذا كل هذا الانتظار؟!

- نتأكد من صحة المعلومات!

- المعلومات صحيحة.

- لابد من الاتصال بمصدر الشيك.

- لماذا ؟

- ستعرف لاحقاً! انتظر.

- وهل سيطول انتظاري؟

- ربما أطول مما تتوقع.

جلس يرقب حالته. استولت عليه مشاعر متباينة، خليط من مشاعر الغيظ والخوف والقلق والرغبة في الخلاص. رن جرس الهاتف. انتفض. رد مدير البنك:

- أنا هو.

- ....!

- هكذا إذن!

- ...!

تبادل المدير معه نظرة فيها قدر غير قليل من الرثاء وقال:

- آسف.

- على ماذا ؟!

- لست صاحب الشيك.

- ماذا ؟

- إنه مجرد تشابه أسماء.

- ولكن...

- قلت لك تشابه أسماء، هل فهمت؟!

* * *

فاطمة
عبدالله
النويصر

قاصة من السعودية.
مجموعتها تحت الطبع.

نهاية رجل..

جلس خالد... إلى جوار زوجته.. لم يكن قريباً منها تماماً.. ليس بجسمه فقط.. ولكنه قد ابتعد منذ فترة.. بفكره.. وحسه.. وأساريره.. كان ينوي أن يتبادل معها نوعاً من الأحاديث.. ألقى إليها بعض التساؤلات التي دارت في محاور مختلفة.. كانت تستغرب بعضها.. وترفض بعضها الآخر.. ولكنها ككل.. تشعر أن جسداً جديداً.. يهم باستجوابها.. كانت الأسرة من الطبقة العالية مادياً.. وكان المستوى الاقتصادي رفيعاً.. حيث جعل من هذه الأسرة.. أفراداً مكتفين.. تشغلهم..

أحداث كثيرة.. بعضهم عن بعض.. فالأب يتمتع بدخل وظيفي كبير.. وهو من الأسر التي تملك عائداً مادياً يصل إلى حد الاكتفاء.. وقد نهج هذا الأب مع أسرته نهجاً يتيح الحرية والاستمتاع بهذه النعمة.. حيث يتسنى لكل فرد.. امتلاك حقه المادي الذي يعينه إلى جلب ما يحتاج وتحقيق الوصول للسبل المؤدية إلى خلق ذلك الاستمتاع.. لذا فإن الزوجة.. محاطة بوسائل الترفيه والراحة التي تصل إليها متى ما أرادت.. وتعيش في ظل هذه الظروف بالطريقة التي أؤكد فيها لنفسها أنها قد اغرورقت بهجة وسعادة.. وقف الزوج هاماً بالخروج.. واستنكرت الزوجة هذه الصيغة التي طرحت.. حيث استقبلت نوعاً من التساؤل الذي لا يكمن في شيء.. لدرجة أنه لم يهتم بمعرفة الإجابات.. حمل حقيبته ومجموعة أغراضه.. وأشار بيديه مودعاً.. فهذه الأعمال قد أخذت منه.. وصرفته حتى عن حال نفسه.

كان خالد.. يعمل.. ككل الرجال.. ولكن أسلوب عمله.. يحتم عليه التنقل والترحال بين فترة وأخرى.. مما يضطره إلى ترك أسرته أياماً بل أسابيع.. ويأخذ من راحته الكثير.. ويتيح لقلقه أن يستمر.. ولأن خالداً

اعتاد هذا الترحال.. فقد كان بحاجة إلى الوقت المريح الذي يتخلل هذه التنقلات.. وكان يسعد أن يجد الساعات التي يجلب فيها الاسترخاء والركون.. وهو يتلهف من أجل الحصول على انعقاد الفرصة التي يتجمل فيها مع نفسه ويمنحها سكوناً وتجديداً.

استمرت السنوات وهي تفتح المجال.. أمام خالد.. كي يمر بمشوار عمله بأسلوبه المتقن المتفاني.. الجاد.. ولكن الظروف لم تمهله.. واحتجزت سريان ذلك.. فقد كان المال.. وضعف الحال.. طريقاً لخوض مسالك أخرى.. أخذ يبحث عنها.. بين فترات عمله.. وساعات سكونه.. ولأن كل الظروف.. مهيأة.. وطبيعة النفس مستقبلة.. فلم يجد صعوبة.. أن يجعل من ممارساته الخاطئة.. أن تكون جزءاً من حياته.. وأقطوعة من عمله.. لم يرحمه مركزه.. من التماس هذا الجحيم الغائب.. فأخذ يغترف مما لديه.. ليهوي به إلى عالم الخيبة.. والراحة الوقتية.. والروعة الزائفة.. استغل بغيمه.. فأبحر في متاهة مؤكدة.. وزيف مختوم.. وضلالة واقعة.. انجرفت قدماه.. ومشت به إلى ذلك الطريق المخيف.. المفزع بكل خطواته.. لم يكن يتردد.. فحوله من مهد له وحده..

وضعفت جوانبه الروحية.. حين قدّم عليه وعيه للغياب.. وسلّم فكره للذهاب.. استسلم لأنه أراد أن يكون.. أوجس في داخله ميلاً للرضوخ. فكلما ظمئت نزوته.. رواها من جدول الغدر والأوهام..

خالد.. شخصية.. من رآها وتعرف عليها.. كبرت في نفسه.. وشمخت في تصوره.. أسلوبها.. ووعيها.. هو نموذج.. ينجذب إليه الفكر وتحتضنه.. التطلعات.. ويتداعى له كل.. تميز.. ونبوغ.. وتناديه.. أخيلة الروعة.. وسلوكيات الجمال.. حتى اختفى ما بداخله عن الرؤى المتحدقة في قياس نوازع البشر.. وتكاد جديته تبهر من أغفل قلبه عن الاستدراك.. مضى خالد.. يتوفق بهذه الشخصية الفذة.. ويقفز بها ممرات الكدح.. ويتحدى بصورتها وجه العتب.. وفي يوم أرادت الأيام أن تكشف من هو خالد؟! وأن تمسح أمامه غبار هذه المرآة التي ظل يحملها مصاحباً الوهم وزبد المال.. ما حدث له مشكلاً يبحث صورة الداخل.. ويبرهن علقم هذه السيرة.. فبينما هو في إحدى رحلاته.. مضى كالعادة إلى إنجاز عمله.. وترتيب ما استجد فيه.. تلقى دعوته.. ليتشرف بحضور.. جلسة العشاء فكان من

متطلبات عمله.. أن يستجيب.. ولكنه في هذه المرة متحمس ومغلوب.. فهل كان الشيطان قرينه.. فأهزل هدفه.. وهز كوابحه.. فاعترفه جنوحاً.. غيب أمامه صحوة الضمير.. وإشراقة ما يستقبل من أيام..

أكمل خالد.. ليلته.. حيث تناول عشاءه.. وتسامر مع أولئك الأصدقاء.. إلى اللحظة التي همس فيها أحدهم في أذنه.. وقصد بها أن ينقله إلى خوض ما تبقى من هذه الدعوة.. دخل خالد إلى تلك الحجرة.. وقد زُيِّنت بأروع ما تنبهر العين لرؤيته.. واستنشق حوله أعابير ورياحين الفتنة.. واسترسلت كوامنه غائصة في جنح هذا النور الواهي.. وبينما هو يستلطف هذا المكان يسمع طرق الباب.. بالصيغة التي هزت كيانه.. وغرائزه الشيطانية.. ثم دلفت.. تلك الفتاة.. كمورية.. ملكة.. هيفاء.. صاغت إلى شكلها ألوان الجمال، وفنون الهيام.. وتقدمت إليه.. وسمحت لهياكل الجن أن تهتز.. وربوع الشر أن تنتشر.. ولنغمات الفتنة أن تبوح.. وبعد أن نال منها.. لم تجعله يبلغ هيمانه ويطول فرحه العابر.. بل تجرأت أن تفضح ترجله.. وتقصم ثوابته.. وتنزع

أمامه.. لباس الخداع والتواري.. وتنقله إلى حقيقة روحه ونهاية تماديه.. فما الذي أفصحت عنه هذه الفتاة؟!!

لقد أعلنت له أنها مرسلة من زوجته.. حين عرض لها المبلغ الذي تطلبه مقابل.. أن تضع هذا الزوج في كمين يرسم الاعتراف ويتحدى الروغ.. ويجبره أن يكون صورة حقيقية لهذا الجرم.. دون حديث.. أو دليل.. لقد كانت الزوجة تائهة.. لا تعرف الطريق للوصول إليك.. لاعترافك.. لخلق مبادئك.. لتجديد أخلاقك وعودة فطرتك المحددة.. نعم عجزت إلا بهذه الطريقة حيث كانت الفتاة.. الوسيط.. الذي نقل تلك الصورة الغائبة الغامضة.. والتي انكشفت.. حين استطعت..

انزوى خالد.. يحكي لنفسه هذه الأحداث.. وقد عاش فصولها.. وتعاقب على مخيلته.. استفهامات كُثر.. كان أكثر ما يؤرقه هي تلك المرأة التي فضحت موقفه.. وهو الذي قد تناوبت عليه منهن الكثيرات.. وكانت الأخيرة هي التي أرخت قواه.. وعصفت بكبريائه فإلى ماذا انتهى شخصه.. وكيف يواجه بيئته.. وذويه.. حينما تكون امرأة مقصودة.. وعلى يدها مثلث تقدمه.. بل أردت بهيبته وأسفلت مكانته.. أخذ ينادي صوته..

ويسمع كلامه.. ويهتف هل ستكون النهاية.. هل قدرتي المادية.. ستمحو عجزي وضياعي.. هل سيبقى خالد.. رجل الأعمال.. الفذ.. صاحب الخطوة.. ومالك الرأي.. أم سيكون للمجتمع مقترح آخر..

* * *

عبدالله هادي السلمي

(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

لا تغـرق

يستعرض أفكاراً تدور في ذاكرته... يسقطها مرسومة على ذلك الجبل المنتصب أمامه.. ينظر إليها.. يعجز عن تسميتها أو تحديد أطرها.. يقنع نفسه بقوله: هذه أشكال غريبة قد تكون آتية من وراء الطبيعة..! لكن لا ضير فلم تعد هذه الزخارف والألوان تأسرني، لقد مللت من كل التداخلات وأعتقد أنني تجاوزت الرموز، وليس بمقدوري الآن التعرف حتى على الأصوات التي تعبر الأفق كل صباح تارة للمداعبة وأخرى للإزعاج.

نظر إلى ما حوله... لم ير ما يثير الانتباه... كلها

أوراق... مكتب قديم، ملفات تغيرت حتى ألوانها من تراكم الأتربة... الكل هنا في حالة جمود... شيء من الألم يعتصر أحشاءه... تأوه حائراً... شبك يديه خلف رأسه، واستلقى جسداً على الجدار... أغمض عينيه، ثم قال:

أنا لا أصدق ما يدور هنا، ولا أعتقد أنني أصبحت جزءاً من هذا الخواء... لقد كنت أنيقاً... متحركاً، لكن لا أعلم ماذا حصل...؟ وماذا سيكون...؟ سمع صوتاً

مـاذا تـريـد..؟ أنـا الآن خـارج الـقـوس.. لا تـطـل الحديث، فالهاتف خدمة يجب أن نحسن استخدامها..!

أنصت إلى المتحدث... أعجب به.. شعر بنشوة.

قـال في نـفـسـه: صـوت رقـيـق... نعـم... كـلـمـات خجولة تقتحم الأعماق، يجب الإصغاء لها ربما تخلصني من انفعالات الشقاء التي تطاردني منذ زمن

فجأة امتلأت الجهات ضجيجاً.. ضحك وقهقهة.. عبارات الازدراء يضيق بها المكان.. تقتحم أستار سمعه.. تسأله: أي حياة قادمة أنت تحلم بها..؟ ألم تعلم أن الأوراق الخضراء تتساقط في فصل الخريف، وأنت وصلت إلى بداية هذه المرحلة.. عذراً.. أيها الحالم في نهاية الزمن: لم نكن نريد اغتيال طموحك، لكن ابتسامتك العريضة التي سبقت نهاية مكالمتك الهاتفية كانت سبباً لوضع النقط على الحروف، لا تغرق.. لا تغرق..!

ألجمته هذه الأبجديات الميتة.. حاول البحث عن مصدرها.. لم يجد شيئاً.. هز رأسه، وقال: تباً لهذا العبث... حتى هواجسي التي هي جزء مني تغلق في وجهي نوافذ الانتشاء ثم خرج من مكتبه.

* * *

هـيـفـاء السنعوسي

الكويت.

عتمة

استيقظ فجأة من نومه، وقعت عيناه على الساعة المعلقة على الحائط. تشير الساعة إلى الواحدة صباحاً.

كثيراً ما يعاوده هذا القلق. يحاول أن يهرب منه، ولكن لا فائدة. يتمنى لو أتم نومه ليلة واحدة فقط. منذ ما يقرب من الست سنوات وهو على هذه الحال، لم تعد الحبوب تأتي بنتيجة. ماذا يفعل؟

نوبة الصداع تنتظر دورها هي الأخرى تصارعه صباحاً في أولى ساعات عمله.

يستعيد لقطة يعيشها كل يوم لاحظ أن ملامح الامتعاض والتملل من شكواه بدأت ترتسم على وجوه زملائه. كان حديثه لهم متنفسه الوحيد من صداع لا يقتله أي مسكن.

يذهب إلى الحمام، ينثر حفنة من الماء البارد على وجهه، يتأمل نفسه في المرآة، يلحظ شبح رجل غادر منذ زمن بعيد.. بعيد جداً.

يفتح شباك حجرة النوم، يحاول أن يتنفس هواء نقياً، لفحة الحر تصفع وجهه. ولكن لا بأس. هواء نقي أفضل من هواء بارد مصحوب بصوت التكييف المزعج.

تقع عيناه على حالة سكون مطبق في الخارج. الكل نيام.. نيام إلا هو.. إلا هو.

يتمنى لو يعرف سر مطاردة القلق له.

يكاد يفقد عقله فهو لا ينام كل ليلة أكثر من ساعتين.

يسترجع حواراً دار بينه وبين طبيبه النفسي.

- يجب أن تبحث عن سر مخاوفك.. عن سر قلقك.

- حاولت مراراً ولكن لا فائدة.

- ستعيش على المنومات والمسكنات. هل تريد ذلك؟

- لا ولكنني أجهل شيئاً في نفسي وأخاف هذا المجهول.

- سلط الضوء على هذه البؤرة. ركز على هذا المجهول الذي يسكن داخلك.

يستفيق على ضوء سيارة. ينظر بتركيز متناسياً مجهوله الذي يخشاه.

يركز النظر أكثر فأكثر.. يلتقط مشهداً في جوف الليل الصامت في حضن الشارع المجاور. تظهر فتاة تمشي خطوات سريعة ولكن متعثرة تلفت يميناً.. وشمالاً.. يميناً مرة أخرى.. شمالاً مرة أخرى.. تقذف بجسدها في عجالة في قلب سيارة أخرى يجلس فيها شاب.

يدقق النظر أكثر فأكثر.. يلحظ مشهداً غير واضح تحت بصيص ضوء عامود الإنارة.. يلتفت إلى الوراء.. يلتقط نظارته بسرعة. يضعها على عينيه لتصبح الصورة أوضح.

مشهد عاد بذاكرته إلى الوراء.

زجاجات الشراب تتكاثر.. رائحة السقوط في العالم التحتي تطفو.. تتنفس.

صوت ضحكات نساء الليل تعلو..

صفقة خاسرة ذهبت بأمواله..

مزيج من الألم والحسرة يعتصران قلبه.

يتراجع إلى الوراء. ينطلق هواء حار يعانق الهواء الحار القادم من الخارج.

يغلق الشباك بقوة. يغلق الستارة أيضاً.

يختفي وراء اللحاف. يغلق أذنيه، فصوت التكييف أصبح صراخاً يكاد يفقده سمعه. يقسو على عينيه فيغلقهما بعنف ليندس في ظلمة أخرى تختفي به في عالم يخشى مجهوله. لا صوت غير صوت المكيف. كل الأصوات الأخرى اختفت. لم يلبث ثانية فتقتحم مشاهد قديمة عزلته. تناديه بقوة.

يشعر بضيق في التنفس. يقذف اللحاف بقوة.

يسرع بخطواته في حجرته الصغيرة إلى زاوية. يتكور فيها، ثم يضع يديه بقوة على أذنيه.

صوت زوجته الذي افتقده كثيراً يخترق الصمت.

- لم أعد أحتمل، سأغادر هذا المنزل.

- اليوم إن شئت. لن أمنعك.

- أنت عديم الإحساس. أشعر بالاختناق من هذه الحياة.

تغلق الباب في وجهه. صوت النحيب يرتفع.

يتكرر المشهد كل ليلة. في يوم كئيب غادر المنزل بلا رجعة. تركته وحيداً يصارع حياة بلا حياة.

دخلت نساء كثر إلى منزله إثر تلك الليلة...

غادرن هن أيضاً بلا رجعة.

يبقى هو وظله فقط، يتصارعه ضدان، ويقحمانه في عالم لا يدرك بدايته ولا نهايته.

تمضي الشهور تطوي حياته. ينطلق صوت أخرق يلح عليه بالعودة. يمزقه الحنين، وتجره الضحكات وتصرع أذنيه أصوات الزجاجات وتخترق أنفه روائحها.

لكن الرفض هو المستقر. تنطلق الزفرات والعبرات تحكم قبضتها عليه.

ينجح ولكنه لا ينام.. لا ينام.. لا ينام.

محمد بن صالح القرعاوي

من مواليد 1963 (السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

الهديـة

لم تسر الحياة على خط متوازٍ بينهما من التفاهم، فهو متقلب وهي ذات شخصية نرجسية، منذ أن تعرف عليها ليلة الدخلة لم يستطع مسك العصا من المنتصف. كان جائراً في أحكامه وتصرفاته. لم تعرف كيف تتعامل مع خالد. قالتها وهي تنظر إليه في حزن.. هل لتعاملك معي بوصلة؟

نظر إليها. حاول أن يهرب من ذلك التساؤل.. لقد تساقطت عليه الأسئلة في سؤال واحد.. يدرك طبعها جيداً.

تركته يعبث بمفاتيحه لعلها تجد الإجابة حين تحضر القهوة والشاي!

أخذ ينظر في ذاك المفتاح الملون.. نعم إنه مفتاح غرفتي في بيت والدي. آآآه... لقد فقدت تلك الحرية الذهنية. إنه أنت يا والدتي جزاك الله خيراً. ألست أجبرتني على زواج لم أرغب فيه؟

تزاحمت في ناظريه أيام الزواج الأولى، حينما كان في وضع نفسي لا يحسد عليه، كان لا يعرفها إلا من خلال الأوصاف التي قادته للقبول! ولكن!

كانت في تخبط أسود ؟ لم تعرف الطريق الذي تسير فيه شخصيتي، ذلك الأسلوب المشترك بيننا، طبيعة المجاملات، غلفت مسرح التصارح بيننا.

قف.. قف! لماذا أنت تلقي باللائمة عليها ؟ أنت المسؤول الأول، أنت القائد!

ليتني حددت الخطوط الرئيسة لحياتنا منذ البداية. نعم سلبتني رقتها، نعومتها، صوتها الدافئ، في لحظات البداية، بوصلة المشاعر!

عبر صوت إذاعة القرآن الكريم المنطلق من غرفة

النوم... غرق في تحليل **﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾**.

هل هي الملاصقة الفكرية؟ أم هي العاطفية؟ أم هي أشياء أخرى تكون ذلك اللباس؛ ليعبر عنها التلاصق الجسدي.... ؟؟؟

هل هذه التركيبة النرجسية العجيبة.... تتوافق مع تطلعاتي؟ وهل الأفكار التي تحملها توافق ذاتي؟ ولكن، لماذا الحيرة تنخر ذاكرتي....!!!

أنا ماذا أريد... ماذا ينقصني... هل أسير وراء تلك التطلعات التي يتحدث عنها شلة الاستراحة... حسب ما صورتها الأيام الأولى من الزواج....!!

قد أكون أنا السبب في هذا التردد والنفور الداخلي؟ أو هي بسبب نرجسيتها الصارخة....!!

«وعليكم السلام»..... هذا هو الماء البارد الذي أفاق عليه حينما ألقت عليه السلام... ليشاركها جلسة القهوة والشاي والمكسرات....!!!

حبيبي. هل أجدك واحة خضراء أرمي عليها همومي التي تتشكل فيك أنت..؟

حبيبي. إذا كان معك تذكرة واحدة لتركب سفينة الوهم فكم أتمنى أن لا تبحر بعيداً لأن الواقع سيغرق تلك السفينة. ولكن... الحياة لمن يعيشها!!

خالد. حبيبي. لا تدع لأنانية الأنا تغتال أفراحنا في ظل عدم إدراكك لمعنى الشركة التضامنية.!

نظرت إليه وهو يرتشف فنجان القهوة. لا تدري ماذا يدور في رأسه!

قال لها.. أنت مطلب كثير من الرجال حسب ما يدور في مجالسنا ولكن أنا. وراح في نوبة صمت طويل!

قامت وهي تذرف الدموع.. تسترجع حياتهما ساعة.. ساعة مواقفها.. مطالبها.. تنازلاتها.. لماذا هو لا يقدر الحياة التي يرفل بها.. ليس لي عليه منة بذلك ولكنها تربيتي التي تعلمت منها العطاء بلا حدود.

ليته يفتح بوابة فكره لأدرك ماذا يريد... فألبسها حسب رغبته!

خلال الأيام الماضية جربت جميع المحاولات لكي تطرق عقله دون الإخلال في هتك ستر الزوجية أو إفشاء الأسرار وطلب النصح حتى من أقرب الأقربين.

صعدت إلى غرفتها.. مسكت القلم.. إنها المحاولة الأخيرة.. اختارت تلك البطاقة الجميلة التي تعبق بالعطر الذي يحبه كثيراً وكتبت تلك العبارات الصادقة لعلها تردم الهوة التي خلقها والتي عكرت صفو حياتهما.

خرجت إليه وهو يهم بالخروج كعادته كل يوم حملت معها محاولتها وهي تدعو الله أن تكون العلاج الناجع.

ناولته البطاقة وهي تقول:

حبيبي خالد.. رجائي وأملي أن تقرأ هذه البطاقة وأنت في مكان آمن.. لا تخاطر بحياتك فهي غالية عندي.

أخذ البطاقة وهو يصمها بالنرجسية المفرطة وركب سيارته ورمى بالبطاقة على طبلون السيارة وهو يقول خرابيط مراهقات.

وقف عند الاستراحة وعندما هم بالنزول حيث الأصحاب قرر أن يقرأ ما كتبت له في البطاقة.

ازداد حماسه لمعرفة عباراتها بعد أن فاح عطره المميز وهو يقول يكفيني هذا العطر وعلى الظرف عبارة (هذه

هديتي لك هذا المساء أتمني أن تقبلها ونفسك عني راضية).

تسمرت عيناه على ذلك الخط الجميل.

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين خير الناس لأهله وعلى صحابته أجمعين.

حبيبي خالد... أقولها بما تعني كلمة الحب والتي جعلها الله بينه وبين عباده وبين العباد أنفسهم.

خالد. هذه الهدية المتواضعة والكلمات اليسيرة لم أتكلف عليها سوى رحلة معك عبر أيام ماضية! تجدها كلمات بسيطة، لا أحسبها إلا ممزوجة بالصدق وعبارات لا تنقصها الصراحة! وجهتها إلى أغلى شخص في الوجود. إليك أنت. نعم إنه أنت لا أحد غيرك يا من سكنت سويداء القلب وتربعت في فضاء البصر. إنك في داخلي بغير حول مني ولا قوة. أصبحت سر حياتي. أحس بك في كل نبضة من نبضات قلبي. أتألمك في كل نفس يصعد وفي كل نفس ينزل من صدري. أحس بك في كل حركة من حركاتي.

إليك أنت يا من بيدك بعد الله عذابي وسعادتي

وفرحي وحزني وضحكي وبكائي. إذا لم أصارحك فما فائدة صدقي مع الناس. وإذا لم أصدقك فلا خير في كإنسانة.

عشرون عاماً اختزلتها أنت في ورقة تسمى عقد. وعقدت جميع جوارحي معك. تلك الورقة عقدت جميع التطلعات التي كنت أحلم بها وأتصورها فأصبحت أنت بالصورة التي انعكست في كياني.

حبيبي خالد. لا تظن أن هذا من الخيال بعيداً عن الواقع ولكنه الواقع في رسم الخيال. البطاقة التي تقرأها الآن كانت لا شعور فيها وكذلك كنت أنا قبل أن تكتب تلك العبارات التي خلقت لدي الشعور نحوك. فهل ستمحي ذلك الشعور؟ إذن أعد البطاقة!».

تملكه إحساس غريب تجاه صاحبة الهدية. أعاد قراءة النهاية.. إذن أعد البطاقة!

هل أنا إلى هذه الدرجة من السادية؟ إنها قمة العطاء؟

هل كنت أحتاج لمثل هذه الصدمة الحسية كي أعي ما أملكه من كنز.

كيف أعير حياتي للآخرين كي أتقمص شخصياتهم ولكن.. لا.. لا.. لا.. وألف لا!

أدار مفتاح السيارة وعاد راجعاً وهو يردد....

سوف أحتفظ بالبطاقة لنفسي ولن أفرط فيها إنها تحمل رائحتي!

* * *

هدى بنت فهد المعجل

(السعودية). نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات. مجموعتها الأولى «بقعة حمراء» تحت الطبع.

المصعد

كان علي أن أجتث رهبة الانتظار بمعول الصبر، ولكن قواي خارت فحررت المحفظة من براثن حقيبتي اليدوية، وأخرجت عملتين ورقيتين من فئة الريال، ودستها في جوف مقهى الخدمة الذاتية، وطلبت إكسبريسو.

قهوتي سكر زيادة، بينما منحني المؤشر نفاد السكر من الجهاز، ولم ينتظر لكي ألغي الطلب، بل أخرج لي من جوفه فنجان إكسبريسو سادة، ووضعني أمام الأمر الواقع!!

وددت لو أني بمنأى عن أعين الناس لحطمت الجهاز، وهربت.. لا يهم إن قال مكتشف فعلتي «أنثى مسترجلة» فماذا كسبنا من النعومة، والرقة، والتكسر... إلى أن سارعت «الدوائية» بتصنيع «سنافي» الفحولة...

سحبت فنجان القهوة من جوف الجهاز، ثم سكبت محتواها في أول سلة مهملات قابلتني، رميت بالفنجان أرضاً ودست عليها بحذائي، ثم ركلته بقدمي بخفة، وصعدت الدرج.

لم يكن المصعد معطلاً عندما استخدمت الدرج، ولكني أرفض الكسل، وأشجع الرياضة، ورياضة صعود الدرج بالذات لدورها الفاعل في إنقاص الوزن.. ألا يكفي أني أتقزز من كرشٍ توارى - خجلاً - خلف ثياب رجالنا، وبطون مترهلة ضاقت بها ملابس نسائنا..

المرأة منّا لا تجرؤ على الاستغناء عن الكبسة في وجبة الغداء، ولو فعلت ذلك لكان مصيرها منزل والديها، تتبعها ورقتها.. والعزاء لمن قطعت من شجرة.. أو لا عزاء لها، سيان...

*****

برشاقة، ونشاطٍ، وخفة، صعدت الدرج، وعند كل محطة استراحة كنت أرثي لأفواج المنتظرين للمصعد..

أحدهم وجد في الازدحام ليسلب ما يستطيعه من حقائب النساء.

أما الآخر فقد أودع ورقة صفراء صغيرة في جيب حقيبة فتاة برفقة والدتها، ارتباكها دلالة على رضاها عن تصرفه..

«هل ألفت نظر والدتها؟.. وما شأني بما حدث.. لتتحمل هي تبعات جسارتها..».

واصلت الصعود.. كان الدور الخامس محطتي الأخيرة، لم أتمكن من اجتياز الممر لضيقه، وكثرة المنتظرين للمصعد.. الوضع هنا أفضل، فجموع النساء المنتظرات بمعزلٍ عن جموع الرجال.

طلبت الإذن لي بالعبور، فأفسح الرجال، ولم تبال النساء بطلبي، فكررت الطلب..

رجل أظهر نخوته.. وتكرم باستئذان النساء ليفسحن لي، كأنه لامس كتفي ليجعلني أمر بيسر من خلالهن.. أظنه تعمد ذلك، فانتفضت امرأة بينهن وصرخت بصوتٍ

مبحوح أن ابتعد عنها ، ربما زوجته، بل من المؤكد أنها كذلك.

اجتزت الممر صوب العيادة، جلست على حافة كرسي وثير أنتظر، دقائق معدودة وتنادي الممرضة على اسمي..

الابتزاز، ونفض الجيوب سمة المستشفيات الأهلية، ولكنها تبقى الأرحم في التعامل من الحكومية، والأكثر نظافة ولا شك.

المستشفيات الحكومية تمنحك فرصة قراءة جميع روايات «حنّا مينا» أثناء فترة انتظار واحدة فقط، أرأيتم كم هي حريصة على تثقيفنا!!

نادت الممرضة على اسمي.. قفزت من مكاني.. دخلت العيادة.. وجدت الطبيب بانتظاري بابتسامته المعهودة..

لا أدري هل يبتسم لي أم لمحفظتي، ربما لبطاقة الصراف الأنيقة؟!!

جلست للكشف علي.. أزحت الغطاء عن وجهي.. أمر الممرضة أن تجهز الأدوات حينما كان يرتدي القفازين.

جُهِّزت غرفته بجهاز حاسب، وآلة طابعة، وجهاز تلفزيون ملون بحجم راحة يد رجل يافع، وممرضة غاية في الجمال، والأنوثة، والسحر.. لا تفارق الابتسامة شفتيها.

وضع جهازاً يدوياً مضاء - يشبه القمع - داخل أذني ونظر من خلاله، فعل الشيء نفسه مع الأذن الأخرى، أحضر عوداً خشبياً شبيه بأعواد الآيسكريم، فتحت فمي، أدخله.. ضغط على مؤخرة لساني، خشيت أن أتقيأ في وجهه..

شخّص حالتي بالتهاب حاد في الأذن الوسطى، وزيادة في التأكيد، والاطمئنان أمرني بعمل أشعة على الرأس، منطقة الأذن، ريثما يكشف على المريض اللاحق، على أن أعود إليه حالاً.

ملأ ورقة الأشعة بطلاسم ثم مهرها بتوقيعه ودفع بها نحوي، خرجت قاصدة غرفة الأشعة، أذكر أنها في الجهة الأخرى من الطابق نفسه، بحثت في الممرات، لا أثر لغرفة أشعة هنا، رجعت للدكتور أسأله عن غرفة الأشعة فأخبرني بأنها في الدور الأرضي، في آخر الممر المقابل للاستقبال.

شكرت الطبيب، وذهبت باتجاه المصعد، اجتزت جموع النساء والشتائم تصم آذاني، دست على قدم إحداهن فدفعتني بقوة.. لأصطدم بأخرى فاحتضنتني بحنو كي لا أسقط، تقدمت أكثر، وقفت أمام باب المصعد أنتظره متى ينفتح!

* * *

عبدالله محمد الناصر

قاص من السعودية. نشر عدد من القصص في الصحف والمجلات.

للأمس رائحة حمقاء

وجه أشبه بأرض الحقل التي لعبت عليها الجرافة بحماقة... مفاجأة نارية كسته بلون الدم.. دهشة قاسية فتحت عينيه باتساعه... صرختْ فيه نتوءات عميقة، انسابتْ بينها طرق هوجاء... وبه أنف مهمل احتلبته سنينه الخمسون، وبئر فاغرة تبتلع مسيلها، ينبعثُ من جوفها صوت وهاج مرتجفة آلته:

- يا إلهي.. لا.. لا.. لا يمكن!!! وكان هو من يقبع خلف هذا الوجه التجريدي، الذي امتطاه كل ملمح صرخ

بالألم.. وهو الذي أهرق العتاب والنجوى على أعتاب ما رآه:

- يارب كيف ترضى لأن يحصل هذا الفعل الأحمق السفيه؟... كيف ترضى؟؟!! وصوت جنزير الجرافة السائبة لم يفتأ... فتتراقص خطوط الوجه بانتشاء، بينما يصرخ بصوت تفوح منه رائحة الاحتراق.

- كُفْ.. كُفْ.. كُفْ يا بني... ليس هو ذا الوفاء.

ولكن تزداد لعبة الجرافة... ترتعد خطوط الوجه... إنه يشعر شعوراً أكيداً بأن ابنه ما قام بذلك إلا عن قناعة ذاته... إنه اعتاد لأن يقوم بتحليل أفعاله ويستشعر أحاسيسه... غابت عنه كل صورة ببطء على الرغم من الأصوات، لينتمي إلى ذاكرته التي اشتعلت في تلك الأثناء:

لقد كان في يوم ما، قد أهرق ماء وجهه تحت قدمي جاره في الحقل... توسل إليه كثيراً بأن يبتاع منه فسيل نخلة لديه... فسيل أشار إليه بذاته لا غيره... لقد ألهب شوق قلبه، وأسال لعابه ثمار أمه.

فيرفض جاره بشكل مستديم، إلا أنه وافق بعد

إغراء وبعد مسيرة زمن اجتر فيه التوسل إليه... غرس الفسيل في أفضل تربة وفي مكان خاص من حقله.. بذل له جل عنايته بعض كل ليل ومعظم كل نهار... كان ابنه في ريعان الصبا... يأتي به إلى الحقل... يطلب منه أن يحمل الماء ليسقيه معه، بعد أن يعلمه قيمته... فيسقيه...

صوت الجرافة الذي يزلزل المكان، أيقظه من ذاكرته... ورائحة أفعاله العتيقة تفوح، لكنها لا تأتي بشيء... يرتعد الوجه، يعاود التوسل إلى ابنه:

- لا يابني... كف عن هذا... أرجوووك....

يموت التوسل على جدران خيباته... لا يكترث الابن لرعشاته... يبعده - بضحكة تملأ شدقيه، وبقسوة - عن ساحة عبث ولعب الجرافة... مرة أخرى رنَتْ الأحداث في ذاكرته.. كبرت الفسيلة التي ثمل لعابه على لذة ثمارها... غدت نخلة ببطء على عكس ما غدا ابنه أستاذاً بحجم الكون.... أستاذاً بحجم عقله.. ترنّم بها أمام الملأ وتباهى... أخذت من حلمه النصيب الأوفى... كبرت، فأطعم منها نفسه وعائلته ردحاً من الزمن...

وقبل أيام قلائل، جاء إليه ابنه، قائلاً:

- أبـي.. الآن وقـد شعـرت بـأنك بـحـاجـة إلـى مـن يساعدك فـي الحقـل ويحمل عنك أثقالـه... سأحمل عـن كاهلك كل أتعـابـه... سأحـاول أن أنسـيك المـاضـي... سأحاول أن أكـون مكانـك.. فقط بـشـرط أن تبيـعـه إلـيّ، لأشعر بقيمته أكثر.

حينئذ الفرحة أعدمته حاسة قراءة الإحساس عنده... تكهن صولة ابنه في الحقل أكثر إغراء... خالجه شعور بضمان استمرار حماية الحقل من بعده.. فأبدى موافقته، فباعه له:

مجدداً، أيـقـظـه صوت الجرافة من ذاكرتـه... أيـقظـه على مـعـركـة لـم يـتـهـيأ لـهـا... لم يجدولها في حياة أجزائه... فـهـا هـو يجدها أكثر عصياناً، وينزف عليها دماء جراحه المتعرية... لقد كشف جوهر جموح خيل ابنه وكثرة صهيله... ابنه الذي اختار لهذا الحقل - بعدما تملك زمامـه - الموت وطناً، وساست له نفسه بأن يفسد فيه... سأله في استنكار:

- لماذا يا بني، فعلت هذا... لماذا ؟!!!

- ......!

لم يجبه، فقط رشقه بنظرة مندهشة، وشكّل له وجهاً كأرض مغبرة جف بللها أياماً... تحسس سطح ظهره... وأغمض عينيه مستسلماً لذاكرته..

كان في ريعان صباه، يأتي به أبوه عنوة إلى الحقل... يطلب منه أن يحمل الماء ليسقي النخلة، فيرفض... يعلمه قيمتها... يقتنع بذلك لكنه يرفض أيضاً.. لم يجد حيلة أبوه، فيجبره بالسوط.. فيسقيها بخوف وذعر.

صحا على صوت الجرافة التي مازالت تعيث بالحقل... بل صحا على صوت ذي الوجه التجريدي الذي يتوسل إليه:

- أبي... لن تجدي محاولاتك... الجرافة لن تتوقف.

* * *

ليلى إبراهيم عقيل

قاصة من السعودية.

الأرض

الله أكبر.. الله أكبر.. صوت الحق يعتلي الأجواء الصبح يسفر عن يوم آخر.. نهض «أبو حامد» من نومه مسرعاً.. شرع لأداء الصلاة.. حمل فأسه ومسحاته متجهاً صوب الأرض الزراعية أطرق ببصره مد الأرض.. الأفكار تتعالى صيحاتها في خلده.. زفرة عميقة تغتال صمته.. هذه الرقعة الممتدة من الشرق إلى الغرب منذ زمن وأنا أعمل بها أحرثها، أزرعها، أحصدها، أعتني بها كما الأبناء وما أحصل عليه من جراء هذا العمل المضني لا يكاد يسد رمق أصغر أبنائي.. استعاذ من

الشيطان. وحمد الله، قبض بيده على فأسه وبدأ يعمل.. ها هي الشمس تنصب أشرعتها مغادرة السهل وكأنها تنبه من في الحقول بأن الوقت قد أزف، وأن الليل آت، فيستعدوا للرحيل.. عاد أبو حامد إلى بيته هذا المتهالك الذي لا يسكنه سوى العوز والفقر المدقع، وزوج وأربعة أبناء.. ولج إلى منزله.. «أم حامد» توهم صغارها بأن هناك طعاماً فتسجر تنورها الذي فغر فاه فلا تلقمه سوى ببضع حطيبات، وتركز قدرها على جذوة من النار بعد أن أطفأت ظمأه بقطرات من الماء.. حدق في صغاره وهم يتضورون جوعاً..

لسعته حرقة في كبده.. اغرورقت عيناه بالدموع حاول إخفاءها فانزلقت وتدحرجت على الأرض لتعلن لوعته وأساه.. همَّ بالخروج إلى فناء المنزل.. ضجيج الأفكار يزداد في رأسه «مستقبل الصغار» لم يخرس ما يدور في مخيلته سوى صوت حامد الصغير ابن الخامسة.. أبي.. أبي.. أين أنت؟؟ حدق به وأطال النظر إليه.. وقال: غداً ستصبح رجلاً وستتعهد هذه الأسرة وستجلب لها خيراً كثيراً، و.. أليس كذلك يا حامد!؟ ضمه بعمق شديد.. علقت هذه الكلمات بذهن الصغير

وكـان لـه صـدى بـالـغ فـي ذاكـرتـه.. أصبـح حـامـد فـي السادسة من عـمره.. والده يرغب في إلحاقه بالمدرسة فما أن سمعت أم حامد بالخبر الذي أفضى به زوجها إليها حتى تملكتها دهشة عجيبة!! وهل وجدنا طعاماً نسد به أفواههم، حتى نلحقهم بالمدرسة؟ قالتها: بنبرة شابها الحزن والألم.. فقال أبو حامد: الله خلقهم وسيكفل رزقهم. وفي اليوم التالي جسر على الذهاب بابنه إلى المدرسة.. في المدرسة أبدى حامد تفوقاً واضحاً ونبوغاً بارزاً جذب الجميع إليه.. ها هو العام الدراسي يعلن رحيله بعد أن لملم جزيئاته وبعضاً من أماني وأحلام الصغار ليعهدها لعام قادم.. والده مازال يكابد مشاق الحياة ويتجرع ماءها الآجن، إلا أن السعادة لم تضن عليه بل كانت تسقيه في بعض الأحايين جرعات تمزق بعضاً من الحزن المدلهم الجاثم عليه، فيفتر ثغره كلما أرخى ببصره، نحو ابنه.. لقد اعتاد منذ صغره أن يذهب مع والده إلى الحقول التي كانت تصغي لأغنياته وتنصت لأمانيه وألامه الصغيرة.. وتتخطى الأعوام.. عاماً بعد عام.. أكمل الثانوية العامة والتحق بكلية الزراعة.. لم تضن الحياة عليه كما فعلت من قبل بل مدت يد السخاء

وغـمـرتـه بـجـزء مـن حـلاوتـهـا.. مـرّ الأسـبـوع الأول مـن دراستـه بكليـتـه.. أخذ يـفتـش عن عـمـل مـسـائي، وبـعـد رحلة من البحث الممض حصل على مطلبه عامل تسويق لمؤسسة خاصة، وبالرغم من ضآلة المبلغ الذي يحصل عليه إلا أنه كان يمثل لحامد الشيء الكثير فقد كان يدخر نصفه ويبعث بنصفه الآخر إلى والده.. كانت لـه سمات بارزة عرفه بها أصدقاؤه وزملاؤه فقد كان قليل الحديث، كثير الصمت، مطرق الرأس، شارد الذهن.. لقبه زملاؤه بالصامت.. في الحجرة التي يقطن بها علقت لوحة فنية أهداها له أحد أصدقائه، عبارة عن واحة خضراء حوت أصنافاً من الأشجار الباسقة والزهور الملونة، والنباتات المشتبهة.. كان يقضي وقتاً طويلاً يحدق بها، ويحادثها بهينمة لا يكاد أحد يسمعه.. كان متفانياً في عمله حد الإغراق، وكان يمخر عباب العلم بمركب الجد.. فها هو يصل إلى المرفأ النهائي.. أجراس التخرج تقرع معلنة نهاية المطاف الجامعي.. أنهى دراسته متفوقاً رشح بأن يكون معيداً في كليته لكنه يأبى ذلك.. يحزم أمتعته ويودع زملاءه مغادراً إلى قريته.. قلبه يركض ويسارع الزمن ميمماً نحو قريته، يعد الثواني المتثاقلة، لِمَ أراك

تتباطئين كالساعة، ذاكرته تسترجع صورة أبيه، وأمه، إخوته، قريته، المروج الخضراء.. ما أجمل الصور وهي تترا ءى في مخيلته.. تنحدر دمعة حارة على وجنته نورة أخته الصغيرة التي اغتالها الجوع.. نورة.. نورة.. ويستفيق من هذه اللحظات الحالكة والمدلهمة.. يطل من شرفة المركبة التي تقله.. فيقع بصره على القرية وها هي بيوت القرية تقترب من ناظريه... يهفو جنانه مسرعاً.. يهبط من السيارة.. يسرع في خطواته.. قدماه أسرع من الضوء.. بيتهم الصغير.. يطرق الباب عدة طرقات.. نبضات قلبه ترنو إلى الداخل.. خفقاته تعلو.. صوت يأتيه من داخل المنزل «لكم أشتاق إلى سماعه» من بالباب؟؟ أنا.. أنا يا أمي.. تسرع في فتح الباب.. ترنو إليه الفرحة لا تسعها.. تنهل دموعها تلثمه، وتتحسسه بيدها الحانية.. حامد.. حامد بصوت متهدج هل عدت يا بني؟؟ نعم ها أنذا عدت ولن أذهب مجدداً يا أمي الرؤوم.. يجلس معها وقتاً.. أين أبي؟؟ لم أره منذ عدت.. ذهب يبحث عن قوت عياله.. حسناً سألحق به.. يغادر المنزل صوت الحقول.. يهاله ما رأى أضحت المزروعات يباس والأرض خاوية من الأشجار عدا بعضها

المتهالك كالأثل والسدر المتناثر.. والده يحتطب بعض الأشجار اليابسة التي يبتاعها القرويون.. يحدق حامد بهذا المنظر الذي يصعقه.. وبصوت ممتعض أبي.. أبي ينجذب والده تجاه الصوت.. يهرول تتعثر قدماه يمسك بيده يحتضنه.. تتساقط دمعتان من عينيهما وتمتزجان برمال الأرض.. هذه الأرض التي أحست بمقدم حامد سرت برغم الألم الممض الذي يسري في جسدها.. في عيني حامد سؤال حائر.. أطرق برأسه.. عيناه تتجولان في آفاق الأرض الرحبة.. رنا إليه والده.. استشف سؤاله المتجول في خلده.. هجر أبناء القرية أراضيهم وذروها خاوية.. رحلوا إلى حيث الحصول على مال وفير وبأقل جهد.. غرتهم المدينة وفي الصباح قرر أبو حامد أن يهدر دم الخروف الذي بات يعنى به أياماً وليالي طوالاً إكراماً لحامد طفق في دعوة أهل القرية لتناول العشاء.. وفي المساء قدم الجميع مهنئين.. نساء القرية قدمن ليساعدن أم حامد الضريرة من عجن العجين وسجر التنور.. أهل القرية يتسامرون ويتحدثون وفي إحدى زوايا المكان جلس ثلة من الشباب.. كان حامد يتوسطهم كانوا يتجاذبون أطراف الحديث.. قال عمر لناصر: لقد اتخذت قراراً لا

رجعة فيه.. سأبيع الأرض التي بحوزتي.. فلقد سئمتها وضجرت من هذه الرمال التي لا تدر ذهباً.. أود التخلص منها وبأي ثمن وإن كان بخساً لأنني أريد مغادرة القرية إلى حيث الصخب، والضجيج، والحياة الأكثر نعيماً سأرحل إلى المدينة. في تلك الأثناء كان حامد منصتاً لحديثهما.. أطلق قهقهة مريرة في داخله غصت خروجها.. يا لهذا الأحمق!! وهل المدينة هي من ستدر لك الذهب؟؟ قال ذلك دون أن يتفوه به.. صورة الأرض السقيمة تدور في فلك خلده.. يدنو من عمر.. هل ستبيع الأرض يا عمر؟ أومأ.. عمر بالموافقة.. ثم أردف وهل لديك من سيشتريها؟ قال حامد: نعم أنا.. فضحك عمر بصوت أسمع كل من كان في المكان.. أنت.. أنت يا.. حامد! قالها متهكماً وساخراً.. نعم وما العجب في ذلك؟! لكنك.. ويصمت عمر.. ثم يردف وماذا تريد بهذه الرمال التي لن تجر لك سوى الخيبة والخسران المبين؟؟ وهل تملك مالاً يكفيك لتبتاعها؟.. فيهز حامد رأسه بالموافقة.. بعد تناول العشاء ودع أهل القرية أبا حامد وابنه متمنين لهما كل خير وهناء ورغد في العيش.. المال الذي أكنه بها منذ أربع سنوات.. أظن أن

هذا المبلغ كاف لشراء ما تبقى من أرض عمر.. وفي اليوم التالي وبعد انسلاخ الليل وبروز الشمس بوجهها المبسم ومعانقة ذؤاباتها للأرض.. غادر حامد وفي يده كيس وبداخله رزمة من النقود متجهاً صوب عمر.. ابتاع حامد الأرض من عمر بالمبلغ الذي طلبه.. يمم شرط الأرض.. تزفه رياح الشوق.. وتحمله زوابع المنى.. وتحلق به أجنحة الطموح والآمال.. في قلبه قناديل نور المستقبل.. وفي يده محراث الكفاح.. وفي عينيه نبع «متدفق» بالعطاء.. هذه الأرض التي عمل بها والدي منذ سنين خلت.. ها هي اليوم تبسم لي بعد أن أضحت ملكاً لي وتحت وطأة قدمي بكل رمالها وأشجارها وحشائشها وحدودها.. يا لفرحتي وسروري.. كررها عدة مرات وهو يدور حول نفسه.. عاد إلى المنزل.. أخبر والده بهذه المفاجأة فتملكته الفرحة والغبطة وفاضت عيناه بالدموع.. فتح ملف آفاقه المستقبلية شحذ أمانيه.. حدق للأرض التي اكتسحها بحر من الرمال.. الماء شحيح.. الغيوم لم تدر علينا بمائها منذ زمن الأمطار الموسمية.. حتى السد لا يفتح إلا كل بضع سنين الماء خزن به دونما جدوى لا أحد يستفيد منه إطلاقاً الأرض

تموت عطشى والمياه مخزنة في السدود أمام ناظريها.. هل كان أهل القرية محقين في هجرانها؟؟ لابد أنهم عانوا كثيراً..

آه.. سأتغلب على هذه العوائق إن شاء الله تعالى.. يارب ألهمني الرشد والصواب.. الماء.. الماء.. أكبر مشكلة.. أطرق رأسه يفكر في حل لهذه المشكلة.. سأحفر بئراً ارتوازياً.. لكن المال أنى لي أن أحصل عليه؟؟ كل ما كنت أملكه في جيب عمر.. آه.. آه من ترى يقرضني المال.. من صالح.. أجل صالح ورث مالاً جماً من والده.. وهو يكن لي الكثير من المشاعر.. وشلالات حب متدفقة غمرني بها إبان دراستنا بالكلية.. لن يضن بمبلغ من المبالغ إذا ما طلبته منه.. غادر إلى المدينة صالح.. ابتهج وفرح صالحاً بمقدمه.. مازحه بقوله: مرحباً بك أيها الصامت.. أي ريح طيبة حملتك الليلة إلينا؟؟ ضحكا معاً ثم تحدثا عن مختلف شؤون الحياة.. روى حامد قصة الأرض وما ينغص عليه من أشواك ممتعضة اعترت طريق حلمه، وطلب منه أن يدخل معه شريكاً في المشروع.. وافق صالح بسرعة فقد كانت الحميمية التي تربطهما وعرى الصداقة أكبر من أي

مال.. عاد حامد إلى قريته بعد أن أصبح حلمه قاب قوسين أو أدنى من ظهر الواقع.. بدأ في عمله حفر البئر فتدفق الماء كالسيل الزبد.. اشترى أكرة آلياً.. قسم الأرض إلى قطع متجاورة.. أحضر شتلات لبعض الفواكه والأشجار.. وبذوراً زراعية مختلفة الأنواع.. دنا من الأرض وهمس بأذنها بعد أن أخذ حفنة رمل بين يديه وحدق بها.. كم أعشق عبق ترابك المتسرب بين خفقات قلبي.. تبسمت وزفرت زفرة عميقة قذفت معها ما أصابها من أبنائها الجاحدين.. كان يعمل حامد بكل همة ونشاط.. يغدوها صباحاً عندما تمج الشمس خيوط أشعتها الذهبية على وجه الأرض.. ولا يغادرها إلا عندما تلوح شمس الأصيل وتهينم بأذن الوادي عن نهاية رحلتها وتطوي صفحات النهار.. فيزحف الليل الحالك المدلهم.. استخدم أساليب متنوعة في الزراعة.. أفاد من خبراته في تقنية المزروعات الحديثة من حيث: عمليات التهجين والانتخاب الجماعي وفصل ونقل الهرمونات «الأوكسينات» من نبات إلى آخر بغية زيادة وتحسين الإنتاج كماً ونوعاً.. اعشوشبت الأرض وتسامقت نباتاتها وبدأت نواراتها تبرز للنور جذلاً فرحة.. أقبل

الصيف مختالاً يطرق أبواب العام.. وفي ذات صباح مشرق وضاء.. اختلى حامد مع عشقه يتأمل جمالها الأخاذ ويفتش أفنانها إذا به يلحظ ثماراً صغيرة تعانق أنفاس الكون.. ابتهجت أساريره.. وبصوت ينهج الحمد لله. الحمد لله.. الثمار.. الثمار.. أينعت ثماره وأتى موعد الحصاد.. اعتمد على نفسه في الوهلة الأولى في جمع المحصول وتسويقه.. حيث إنه كان يوزع المحصول على تجار الخضار وما يقبضه من ثمن يشتري به أراضي زراعية ومستلزماتها.. وبذلك اتسع نشاطه الزراعي ليطغى على السوق كله.. كما أحب حامد الأرض أحبته فلم تضن عليه بل كانت سخية حد السخاء فقد فاضت بخيراتها وجادت بنوالها.. فازداد إنتاج المحاصيل وذاع صيتها فيما تميزت به من جودة.. فازداد الطلب من قبل المستهلكين.. حصل حامد وصديقه صالح على ثروة طائلة.. فقد كان لصالح دور بارز في توفير كل ما قد كان ينقص الأرض.. اشترى حامد منزلاً كبيراً ونقل والده الذي رسم الزمن تجاعيده على وجهه ووالدته الضريرة «التي فقدت بصرها إثر مرض ألم بها في سالف الأيام» وزوجه وأبناءه.. وتمضي شجرة الأيام بأزهارها وأشواكها

ليصبح حامد أغنى رجل في القرية، عاد القرويون الذين باعوا مزارعهم ورحلوا إلى المدينة وأفواههم مملوءة بالحسرة وأنات الندم والألم بعد أن أنفقوا أموالهم وأضاعوها... التقى حامد بعمر مصادفة بعد عدة أعوام مضت.. دعاه إلى زيارة مزرعته هاله المنظر الرائع لم يكن ليصدق بأن بحر الرمال يستحيل إلى سندس أخضر.. قال حامد: أتذكر يا عمر يوم أن قلت: إن الرمال لا تدر ذهباً!! قال: نعم أذكر ذلك جيداً انحنى حامد صوب الأرض وقبض منها قبضة واعتدل في وقفته وأخذ يذروها وهو يقول: لم تدر الرمال ذهباً فحسب بل أثمرت شهداً.

* * *

عيسى مشعوف

قاص من السعودية، ينشر قصصه في الصحف والمجلات.

زوابع الشك

استرقت السمع من بين أرتال الصخب، كان يترنم خلسة بشعر عاطفي ويشيح عنها بنظراته متوارياً يخفي في قلبه أسراراً مدفونة حاولت معرفتها استعصم منها هرباً، بقراءة رواية (أيام الغضب) حتى أصار غضب البركان المتجدد في داخلها، في لحظات عارمة قذفت بكل شيء أمامها في وجهه: المنضدة الجميلة، أكواب الشاي، التحف، والمزهريات قذفت عليه حتى بالكلمات الساخطة، زوبعة من غضب كاسح كادت تقتلع لسانه، ثم قفزت كالوحش الكاسر تشجبه بقسوة، هوت إلى ركن

مظلم مثل متاع مهمل تذرف الدموع بقيت في دوامه عاتية المصير يتربص بها، مصير المشاركة لها في قلبه، في مخيلتها تعيش، وحبائل التفكير تعصف بها، كأنها ترى الكابوس جلياً قد تحقق، التشاؤم جعلها دائماً حبيسة الأنثى لأخرى، جعلتها شبحاً يطاردها أينما ذهبت، بددت بهواجسها ذرات الأمل، كلما حاولت التمسك بأهدابه، أصبحت توسوس كثيراً، واستبد بها شيطان الشك والغيرة تذكرت قبل أيام دارت بينهما رحى الحرب الكلامية بعنف، فقد سمعته يذكر محاسن التعدد... دب في جسدها الرعب والخوف، ارتجف مثل عصفور جريح يحاول الصمود في وجه العاصفة، بزغت أحداقها القاتلة من وجهها كالشرر، وبأنفاس متصاعدة تفور، لملمت جسدها إليه مجدداً متهيئة لحسم المعركة، جلست أمامه بانكسار مريب، أخذت تخنق طرف ثوبها المسترسل بأصابعها بألم، غرست أظافرها الطويلة في ذلك الروب الضعيف، وكأنها تفرغ غضبها في خيوط القماش الواهنة، تمتمت بحروف حزينة ملتهبة خرجت من فمها بصعوبة.

- تريد أن تتزوج عليّ.

- لا.

- بل نعم.

- لا.. ولماذا ؟

- لا أدري.. ثم لاذت بصمت مخيف تتأمله بمقت وازدراء والدموع تغسل الخدود وبكفّيها تمسحها خفية، هاجمها التوجس المخيف في تلك اللحظة الحرجة.. لحظة الشك والريبة تطاير لهب الموقعة المحمومة في كل صوب من المنزل، عش الزوجية يتبدد تتساقط أعواده كل يوم بسبب التعدد ، وحب التغيير، كانت نظراتها قاتلة له في الصميم، أحس بالظلم والتجني سرت في كيانه حالة فاترة بدا عليه الضجر واليأس، كأن كلماتها الطعون في جسده، أحس بدوار واختناق في ذلك اليوم الرجيم لم يفقد الأمل همس بصوت شجين مؤثر:

- لم تفهميني بعد... علت ملامحها ابتسامة ساخرة، ثم عقبت في أسى:

- بل أفهمك، اعترت الدهشة كل جسده ، وامتقع وجهه

بلون أحمر، مكث يلملم حروف الكلمات الهاربة منه، بينما هي تزم شفائفها غيظاً منه، حاول أن يجد مبرراً لشيء يقنعها به، حتى تكف عن ثورة الشك فيه دوماً، هكذا هي تشك حتى في أنفاسه، في حركاته وسكناته، تغار عليه حتى من ثيابه، قرر أن يتنازل رويداً ويطلب الهدنة، تذكّر صفة العفو والتسامح واستهجن أسلوب التصادم السيئ معها، تبسم لها بتلطف وتودد، ونظرات الريبة منها تمقته:

- دعينا نعيش بسلام.

- لن أدعك تهنأ معها أبداً، سوف أشفي غليلي منك قاطعها بحزم إذا حصل ذلك.

قالها ثم عمد بخطوات ثقيلة، وبزفرات متألمة، إلى تناول شماغه الأحمر من شماعته وارتداه، لحقته بخطوات حثيثة وبتهجم أمسكته من تلابيبه بقوة، ضحك منها ضحكة سمجة، لهزته بعنف، صرخت بصوت مترجل، وبكبرياء مصطنع:

- لن أبقى حبيسة للكوابيس قل لي الحقيقة.

- ماذا أقول؟

- مـن هي... واكتسحتـها رهبة الجواب المنتظر منه... وبزت منها الدموع غزيرة، تمتم بجواب كئيب.

- لا واحدة بعدك أبداً، أنت المثنى والثلاث والرباع.

انبعث منها ألق الرضى، كالشروق وانبثقت السكينة جلية تكسو محياها، وتعالت زفراتها تتصاعد من أعماقها بالتدرج، برقت أسارير وجهها، تحولت إلى حمل وديع، سارعت بدورها تماحكه إلى الاتجاه الآخر من الغرفة التحفت عباءتها، تأملت زينتها ومكياجها على ملامح وجهها، زينت برقعها، وعيناها من خلاله تطارده، تأبطت حقيبتها اليدوية، أثارت تعجبه واستغرابه منها في ذهول سألها:

- أين تذهبين؟

- معك.

- أين؟

- لا أدري.. أنت من يقرر ذلك.

- إني ذاهب إلى صديقي.

- خذني أنا أيضاً إلى صديقتي، قالتها... واستبقت الباب ومضى في إثرها.

خـــالــــد الـكـديـسـي

(السعودية). نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات. مجموعته الأولى تحت الطبع.

أحلام ضائعة

جميلٌ هذا المساء ويزيده جمالاً وروعة ضوء البدر المنسكب في الغرفة. مساءٌ يختلف عن كل مساء مضى، ربما لأن البدر الليلة في أبهى حلته، والأنجم من حوله تحفُّه كعريس ليلة عرسه أو لأن غداً هو يوم زواجي.

حاولت أن أنام. لم أستطع، فحديث أصدقائي اليوم عن أحلامي مازال مسيطراً على عقلي وتفكيري، حتى

ما عدت أتذكر اختلطت الأمور في رأسي فلم أعد أميز شيئاً. لكن أذكر بالطبع أني كنت أحلم، كلنا كنا نحلم، آه لقد بدأت أتذكر نعم بدأت أتذكر كنا خمسة أحمد وحامد وعلي وبدر وأنا، كل منا كان يحلم بشيء في مخيلته، وسبحنا في أمواج الخيال وحلقنا مع نسائمه خلف الغيوم، وغرقنا في بحر من الرومانسية الحالمة، وأتذكر أنهم ضحكوا علي ونعتوني بالمعتوه عندما سمعوا بماذا أحلم؟ والآن ماذا كنا خمسة و... و... نعم وجدتها كيف لم أفكر في ذلك من قبل، سأتصل بصديقي بدر وأسأله بماذا كنت أحلم؟ سيخبرني بالتأكيد، ها أنا أرفع السماعة رقم.. 2، 6 لم أكمل رجعت السماعة مكانها تذكرت أنه قد نسي حلمه منذ سنين كالبقية عندما لم يستطع أن يحققه لن يتذكر بماذا كنت أحلم، ولكن لماذا أتذكر أحلامهم جيداً وأنسى حلمي، لقد تعبت من كثرة التفكير.

سأنام وأحاول أن أتذكر فيما بعد.

أيها الناس.... أيها الناس من وجد حلماً ذا شريط أخضر يعيده إلى صاحبه إبراهيم بن محمد، أيها الناس

من وجد حلماً ذا شريط أحمر يعيده إلى صاحبه بدر بن خالد... أيها الناس......

- عفواً يا أخي ماذا تفعل؟

- ألا تسمعني أنادي عن أحلام ضائعة من أصحابها.

- وهل يجدونها؟

أجاب وقد بدا الأسى على وجهه لا.. ولكن من باب المحاولة فقط.. والبعض يلجأ إلى الإعلان عن طريق توزيع منشورات كتلك. هناك أقرأ (يعلن عيد بن سعيد عن فقد حلم بالمواصفات المدونة فعلى من يعثر عليه الاتصال على هاتف رقم....).

أوصل الأمر إلى هذا الحد أن ينادي المنادي ويدور في الساحات ويعلن عن فقد حلم، في أي مدينة نحن؟ بل في أي عصر؟!

نظر إلى الرجل والدهشة تملأ عينيه: عفواً يا أستاذ هل قلت شيئاً؟ تركته وهو يتبعني بعينيه قبل أن يعود إلى ما كان عليه بعد أن غبت عنه، يبدو أنني لن أجد ما أبحث عنه. إعلانات تملأ الطرقات كلها تعلن عن فقد

حلم أو أحلام، ها هي مجموعة من الناس مجتمعة هناك لعلي أجد عندهم خبر ما أبحث عنه.

ألقيت السلام عليهم لم يرد أحد، أعدت السلام أيضاً لم يجب أحد، كأن الصمم أصاب آذانهم، كلهم يبحلقون في اتجاه واحد. ما بالكم لا تجيبون؟ قلت السلام عليكم.

أجابوا بصوت واحد من غير أن يديروا رؤوسهم وعليكم السلام، ألا ترى أننا مشغولون.

مشغولون بماذا ؟

أجاب أحدهم إننا ننتظر.

لم أفهم ماذا ينتظرون سألته تنتظرون ماذا ؟

أجاب آخر ننتظر الجواب.

أي جواب؟

أجابوا دفعة واحدة: اصمت ودعنا وشأننا. اقتربت من أحدهم يبدو عليه الهدوء وسألته أي جواب تنتظرون؟ نظر إليّ وقد انقلب الهدوء إلى قلق ننتظر من يأتي لنا بخبر أحلامنا فقد قيل لنا أنها شوهدت قريباً من هنا.

أنتم أيضاً تبحثون عن أحلامكم؟! لم يجبني فقد تعلق بصره كالآخرين برجلٍ أقبل مسرعاً ودون أن يتركوه يلتقط أنفاسه سألوه بصوت واحد والقلوب والأبصار كلها متجهة نحوه ماذا وجدت أخبرنا ؟

أجاب وصدره يعلو ويهبط من شدة التعب لن تعود لقد تمردت واتفقت فيما بينها وألقت بنفسها في البحر احتجاجاً على أنكم لم تحققوها. هوى الجميع على الأرض من هول ما سمعوا سالت أدمعهم وكادت قلوبهم أن تتوقف صاح أحدهم سننتظر حتى يجف البحر ونستخرج أحلامنا ثم سقط مع من سقط قبله.

لا.. لا.. لا أريد أن أفقد حلمي لا أريد... آه يا له من كابوس مزعج كل هذا يحدث لابد أن أتذكر ماذا كان حلمي ماذا كان.

تباً لك من ذاكرة كالغربال لا تحتفظ بشيء أبداً، عندما نحتاج إليها تخذلنا، علي أن أركز ماذا كان حلمي بالتأكيد لم أكن أحلم بأن أكون طبيباً ولا محامياً ولا أن أكون مهندساً ولا طياراً ولا ضابطاً.

حلمي تعدى الشهادة والوظيفة والزواج، حلمي أكبر

من ذلك لكن ما هو، ماذا سأقول غداً لصحافي يسألني بماذا كنت تحلم؟ أأقول قد نسيت حلمي ولم أتذكره، سيضحك كما ضحك أصدقائي من قبل ونعتوني بالمعتوه.

كل الذي أعرفه أن آلاف بل ملايين البشر على مختلف جنسياتهم ولهجاتهم يشاركونني هذا الحلم، وأنه تعقد له المؤتمرات العالمية ويتحدث عنه الناس في الإذاعة والتلفاز، ولكن لماذا لا أستطيع أن أتذكر أهي الذاكرة المثقوبة أم الواقع الذي نعيشه يجعلني لا أتذكر واقع مر يحطم كل الأحلام والأماني، هنا مقايضة وهناك خوف وفزع.

* * *

حسين أحمد بزبوز

قاص من السعودية، نشر أقاصيصه في الصحف والمجلات.

صورتي في المرآة

صورتي ارتسمت في المرآة. شاب عشريني، معتدل القامة، حسن الملامح، أبيض البشرة والشعر أسود، أجعد، لوحت بيدي ولوحت الصورة في المرآة بيدها، ابتسمت وابتسمت هي في وجهي، ضحكت وضحكت هي أيضاً، فجأة أحسست بالغضب واحمر وجهي وقابلتني بالمثل فانفجرت غضباً وصرخت فارتد إليَّ الصراخ من كل اتجاه... الصدى حطمني.

التفت يميني فوجدت مرآة ثانية، قلبت وجهي يساراً فاصطدم بصري بمرآة ثالثة، والرابعة كانت خلفي، رأيت

صورتي مكررة آلاف المرات... كدت أتهاوى وأفقد عقلي لكنني تحملت على قدمي، أمسكت بالباب شددته فانفتح، ألقيت بجسدي خارج ذلك المكان.

وجدت أخي جالساً، تفاجأ وهو يراني وقد تغيرت ألواني وبدا علي الاضطراب. سألني:

- «ما بك، علني أستطيع المساعدة».

ذهبت إلى جواره وأخبرته:

- «من الصعب أن يعيش المرء مدة طويلة من الزمن يحملق في صورته المكررة في المرآة آلاف المرات».

هز رأسه وهو يعرب عن موافقته:

- «نعم كلامك صحيح».

ثم تابعت:

- «لكنك تستطيع أن تجلس أمام تلك الشاشة وأنت تشاهد الأفلام عدة ساعات دون أن تشعر بنفس الشعور».

هز رأسه وهو يقول:

- «نعم كلامك صحيح».

فقلت:

- «أتعرف لماذا ، لأن هناك دائماً شيئاً جديداً يشعرك بالتغيير».

هز رأسه مجدداً عدة مرات وهو مصغ إليّ.

بدأت أشعر بالسأم، كدت أنفجر، لكنني تابعت حديثي:

- «إنك ستشعر.. بالقرف..، لو كررت مشاهدة فيلم واحد العديد من المرات».

هز رأسه عدة مرات وقال مؤيداً:

- «نعم كلامك صحيح».

انفجرت غاضباً:

«لماذا لا أسمع منك كلمة واحدة سوى هذه العبارة الجامدة؟».

وقفت على قدمي...، كدت أسقط على الأرض لكنني حاولت أن أتماسك.

صرخ خلفي:

- «ما بك، ماذا يغضبك».

لكنني انصرفت باتجاه الباب الرئيسي للمنزل، وضعت يدي على مقبض الباب وفتحته واندفعت بخطى متعثرة نحو الشارع.

هناك كان منظر آخر، أطفال ورجال ونساء من مختلف الأعمار، بعضهم يسير فوق الرصيف وبعضهم يتسكع وسط الشارع بجنون، البعض يجري والبعض يهرول وبعضهم يسير الهوينى، لكن بعضهم أيضاً متسمر في مكانه.

مشاهد مختلفة لأناس مختلفين، أخذت نفساً عميقاً وانطلقت بينهم وأنا واثق أنني وجدت ما أبحث عنه.

* * *

ياسين خضر القيسي

قاص من العراق.

حلم صامت جداً

بدأ المخدر يأخذ مساره في جسدي، وفي استرخائي هذا ، سافرت أفكاري إلى عالم خبرته في غربة قاسية، ذهبت بي إلى مديات البؤس والشقاء، تراءت لي بانوراما فخمة تجسد كل عربات الحرب التي خضتها مع الجميع في تلك الأيام العصيبة التي كانت الأرض تتمرجح من فعل القصوف، وكانت السماء ترتدي ثوباً فضياً في حالكات الليالي وهي تحتضن ثريات التنوير، وفي كل سني الحرب البائدة لم نكن نفكر ولا نحلم ولا نتمنى ولا ننتظر ولا نفرح سوى لأنموذج الإجازة، وكثيراً

ما كان بعضنا يردد باقتناع قروي «أمران يحرّم تأخيرهما - الجنازة والإجازة»، وحين نخبئ ورقة الإجازة في جيوبنا الخالية تمتلكنا الطمأنينة. وإذ نستقل السيارات الكبيرة متجهين صوب المدن التي تنتظرنا بلا توابيت آنذاك نكون قد سلمنا أجسادنا المتعبة لنومة هانئة لا يقلقها خوف أو رعب وكأن السيارات مهاد أمهاتنا إذ يدب فينا الخدر الجميل.. أوووه الخدر.. لقد بدأ الخدر يسري بكثافة مفعوله إلى جسدي المسترخي تماماً.

ها أنا أرى جيوشاً غريبة كيعاسيب معصوبة الرؤوس بأشرطة حمر وهي متهيئة للهجوم على المغول. وأرى طيوراً وأرضاً خضراء ندية، والآن بدأ جسدي بالتخاذل وعيناي أخذتا طريق النوم. ترى ماذا ستفعل المباضع والمشارط الرهيبة؟ في لحظة صامتة جداً رأيت قاعة كبيرة مستطيلة الشكل طولها يبلغ ضعف عرضها، ذات أعمدة حجرية مدرجة الأطوال، يبعد الواحد عن الآخر مترين وعند كل عمود تشمخ مبخرة بدائية وينتصب سيفان كعلامة الضرب، وتتناثر هنا وهناك أطواق حديدية تحمل فتائل الإنارة. دكك حجرية، موائد تنتشر على امتداد القاعة، كؤوس فضية، وأخرى فخارية،

بهرتني القاعة بشكلها المتفرد وبجمال عمارتها، وبسقوفها المتلألئة بالنقوش والنحوت التي ذكرتني بالفنان (مايكل أنجلو) كان ارتفاع القاعة شاهقاً. وصلت حائطها البعيد بعد تأمل وانشداه دخلت حجرة صغيرة ذات باب واحد، فتحته فإذا بباحة مدورة طليعة الفضاء ونور الشمس فيها يصول ويجول كيفما يشاء، مكتظة بمقاعد حجرية متسلسلة بارتفاع مخروطي. وفي دفة الباحة مسرح هائل أخذ شكلاً نصف دائري فتاناً وقفت أمام حضور معدود ما هم إلا هياكل عظمية حية، بدأت أتمسرح وكأني ممثل قدير، نطقت الإيماءات من رأسي إلى أخمص قدمي، كنت أحمل بين يدي حمامة بيضاء، رفعتها صوب عين الشمس، أفردت يدي إلى الأعلى لأعلن الحرية عليها وعلى كل من يهجع في الأقفاص تحت هذا الضياء البهي، إلا أن السحب السود التي هجمت صوب الشمس أعلنت حربها الباردة. بدأ التذمر والأسى جلياً على الإخوة المتهيكلين لما عانوه إلا أني فرحت كثيراً لأني سبقت تلك الغيوم لما أفردت، بعدها بقيت أدور وأدور إلى أن فعلت زوبعة كبيرة بدوراني هذا اتجهت لأعالي السماء معلنة حربها الحرور ضد آلهة

الظلام وضد الأصوات والأشياء التي تحرمنا ضياء الشمس لأنها آلهة.. وبعد انقشاع الغمام سقط ضوء الشمس متلألئاً، دخل في كل جوف المسرح وفي داخلنا، لحظة تلك سكنت جوارحي كلها وتقرفصت هنيهة عند باب الدخول إلى المسرح، كان البرنس معلقاً عند ذلك الباب، انتشلته بحركة سريعة دون أن يشعر بأخذه الصحبة الحضور، وضعته فوق رأسي، فبرغم ذلك اليوم الرمض، بدأت مسرحيتي بالبرد القارس الذي تلبسني، وكانت ريحاً صرصراً قد فعلت فعلتها فغزت مسرحي وبلادي، ومسرحي هو بلادي، فتعساً لذاك الماضي القريب الذي أقرفني، وتعساً لتلك الريح، نهضت الهياكل مصفقة لي بقعقعة العظام ثم انسلت الهياكل إلى المسرح بهدوء جنائزي صامت حد الرهبة، واحداً واحداً وبرتل عسكري مهيب.. كان قائد الهياكل المتجهمة مارشالاً يسير بخطى وئيدة واضعاً على جمجمته ما يشبه الخوذة على عظام صدره قطعة صغيرة من القماش الملون، وتطير وراءه بقايا برنس تعلق أعلاه بعظام أكتافه المنجمة، ولم يكن حذاؤه سوى خيوط جلدية متشابكة، اعتلى منصة قريبة والهياكل تتحرك بتناسق تام وبهدوء

أخرس، بدأت المسرحية الصامتة الحزينة والعريقة في القدم، كان قائدهم بإيماءاته الجنونية يحكي قصة ذلك الهجوم الذي رأيت، وكانوا كذلك معصوبي الرؤوس بتلك الأشرطة الحمر، كانت حركاته دقيقة جداً لما يعبر، نهضت الهياكل رافعة سيوفها وكانوا متراصفين.. وبعد هنيهة أخذوا شكلاً دائرياً فأغمسوا سيوفهم بطشت فيه دماء، بعدها رفعوا سيوفهم تجاه ملكهم الإغريقي ليعلنوا ولاءهم، وفي أثناء العرض المبهم عرفت أحدهم من كسر في عظم ترقوته، أكثرت من التحديق فيه فانتبه وهو في حومة العرض الذي ما إن انتهى حتى رمقني الذي عرفته بعينين متسائلتين قائلاً:

- أيها الشاب الحي، كيف أتيت إلى مسرحنا الإغريقي هذا ؟ أجبته:

- محض مصادفة!! قال:

- ما أجملها من مصادفة، لأني خلتك من الأحياء، فكيف وأنت معنا وبهذا الزي الغريب الأنيق، (يخرج من تجهمه السابق يضحك ولا يأبه لإشارة مارشاله الغاضب) دعني يا صاح أضحك ملء فهمي، لأني

سأولد من جديد وفي عالم آخر يعج بالضجيج والتماري والغلو، فرغم الفراغ سأولد في زمن تكون الحرائر إماء، والسرقات تكثر وفي جميع الاتجاهات، أولها الثقافية وآخرها القانونية، سأولد أيها الشاب في زمن آباء يبيعون أبناءهم، ينجبونهم ليحرموهم طفولتهم فتراهم في الأسواق يبيعون أكياساً وفي المزابل يبحثون عن اللدائن إلى أن ينحرفوا، سأولد في مشقة عند المخاض وسأعيش الشقاء وأموت شقياً، سأولد وأرى الذي لم تره عيناي ولم تسمع به أذناي وسأستنشق روائح غير التي شممتها وسأعرف نساء كثيرات وأمارس كل الطقوس الصامتة التي حرمت منها في زمن ما.

تقدم إلى المارشال المحتد ثم قبض على زندي بيديه العظميتين، فتحت عيني قليلاً فإذا بالطيب الذي أكله الدهر وشربه ماسكاً بيد عظمية رسغي ليعرف دقات قلبي الذي مزقته سكاكين زمن متهرئ، وأمي التي أرضعتني الحنان خالصاً أرى نهراً من الدموع يجري من تحت نظارتها السميكة تبكي وتقول:

- حمداً لله على سلامتك بني.

عندها تمنيت لو استمر المخدر وقتاً أطول لأعرف ماذا ستكون عقوبة السيد المارشال لي، ترى ماذا كانت عقوبته لي؟ لا أعرف البتة ولكن أعرف في حلم صامت آخر.

* * *

حسن حميد

قاص من سوريا.

مساء.. بلا قمر!!

(1)

عـينـاي غـائـرتـان، تجـولان فـي وجـهـي الـنـاحـل دون جدوى. أفقـي معتـم تمـاماً. قدماي لا تـبصران طريـقي بـوضوح. الكآبة تخـنقني. حالات الماضي تبعثر لحظات صفائي. أبحث عـن أيامـي. وساعـاتي الـرائقات.. فلا أجد.

أبدأ.. لكأنما المدينة صبّت مرارها في!

(2)

أنـا خمـيس الـشايـب مـن قـريـة (الـفـوارة)، قـدمـان

للحزن، وكفّان للخيبة. والليلة رأس السنة الجديدة. أريد الاغتسال.. من أوجاعي، وعثراتي الماضية، أريد أن أفرح.. لكن الفرح لا يقاربني. كثيراً ما أناديه؟ أرجوه أن يبدو لي (ولو) مرة واحدة.. لأشكو له مرار أيامي وأحزاني.. الدائمة، أتصوره أنثى، فأتودد لمن هن حولي.. لحظات فقط وأصد. أحسبه ضوءاً من أضواء المدينة، وما أكثرها، أقترب منها، فتبدو معايبي، بل يأخذني خيالي إلى أن أظنه.. الإخلاص في العمل والاجتهاد عليه، أسعى إلى ذلك.. فأوصف بـ (دب الشغل).

محاولات، ونداءات وانتظارات.. رمّدت روحي.

(3)

هي ذي أمسية آخر يوم من أيام السنة تذوي بين يديّ. فالليلة تمضي سنة وتأتي أخرى. والدنيا ستموج بالناس، والفرح، والأمنيات.. وأنا طيّ وحدتي وأماني.. الباردة!

قبل قليل فقط كنت أسمع رفاقي في العمل يتحدثون عن طقوس السهر، وما أعدوه له، ومع من

سيسهرون، وأين؟ وما من أحد منهم دعاني، أو حدثني عن هذه الليلة.. لكأنني بينهم منبوذاً أو هكذا أبدو. كنت أتقصد، وهم يتحدثون عن السهر، المرور بهم، أطلق منهم بعض الأشياء أو أسألهم أسئلة عابرة.. لكن دون نتيجة، تجاهلوني تماماً، وكأنني غير موجود.

.. ومع انتهاء الدوام، غادرت مكان عملي وحيداً تحت مطر خفيف. شاغلت نفسي، وحدثتها بأنه من الممكن للمرء أن يسهر وحيداً.. فتجيبني (وكأنها ضدي)، يسهر وحيداً.. نعم، لكنه لا يفرح. فاغتمّ! مع ذلك، وبسبب المطر والبرد، أحاول تكريم نفسي في هذا المساء.. فألغي فكرة مواصلة السير إلي البيت مشياً، أو الركوب في الباصات وسيارات (السرفيس)، أسعى إلى مكافأة الجسد مكافأة كبيرة، فأمامي. هذه الليلة. سهر طويل، وقائمة طويلة من الأسى المكتوب، والأماني المشتهاة، تروق لي الفكرة.. فأقبض على خطاي في طرف الشارع، وأنتظر سيارة أجرة فارغة، يمرُّ عليَّ وقت طويل، وأنا تحت المطر، وما من سيارة. كلما أهم أن أصل إلى سيارة أجرة فارغة، يسبقني إليها مخلق ما ينبت أمامها كالفطر.. يندس فيها ويمضي. أنتظر أكثر..

فتبتل ملابسي، ويأخذني البرد ، وحين يطول انتظاري.. أكره ساعة تفكيري بمكافأة الجسد، فلو مشيت - من ساعتي - لكنت الآن في غرفتي أحتفل بنفسي على طريقتي، أعدّ لها عشاء فاخراً (أوقية من اللحم المفروم الناعم، وفحل بصل مفروم ناعم أيضاً، وحبة بندورة، وثلاثة أرغفة. سأضع اللحم والبصل في الصحن القيشاني الوحيد الذي أملكه..) ولحظتئذ هات يا قابلية! سآكل وكأنني في أحسن فنادق البلد! لكن الآن.. ما من شيء سيرضيني، فقد تورم غضبي وازداد. أتمتم بأسى:

- «لو ذهبت إلي البحر، يا خميس، لجفّ، دنيا عجيبة، تعطيها وجهك، فتدير لك قفاها، دنيا أعجب من البراغي»!

.. بعد الانتظار الطويل المر، ألغي فكرة ركوب السيارة، أمحو المكافأة بشتيمة كبيرة.

أمضي في دربي الاعتيادي مشياً إلى غرفتي بوجه محتقن، وشفتين مطبقتين، في البدء كدت آكل نفسي من الغيظ، وقد اشتد المطر، وهاجت الريح، لكن. وبعد

وقت قصير، هان مسيري وحلا حين رأيت فتاة جميلة القوام، طويلة ممتلئة، تمشي بهدوء كأن الرصيف تحت قدميها لوح من البلور تخاف أن.. يتوسخ. تشد إلى صدرها محفظة وكتاباً، تسير - قربي - تحت المطر غير عابئة بالناس، والبرودة، والريح اللعوب، تمشي.. فتنسحب معها الأرصفة، والشوارع، والمحال، وأشجار الطريق.. توازيها للتحية، وللمرأى الجميل، يعجبني ثبات خطوها، وأحسدها على تمتعها بالمطر.

تروق لي الفتاة فأطوي ببصري بداية الشارع على نهايته.. لأرى إن كنت وحيداً قربها أم لا. ألحظ انشغال الناس بأنفسهم، وقد أشعل المطر في أجسادهم الحركة، بدوا وهم يتراكضون ويتناثرون هناك وهناك، وما من أحد منهم مهتم بالآخر، أقرب من الفتاة، أنظر إليها، مرة أسبقها بخطوات وأنظر إليها، وأخرى أتخلف عنها وأتفحصها. أنثى كالنخلة طويلة وممتلئة،و ومطمئنة، تبدو لي وكأنها سارت طويلاً تحت المطر.. فثيابها مبتلة تماماً، وشعرها هامد، كفَّ عن إبداء وجهها ورقبتها وإخفائهما. بدت كأنها خارجة لتوها من البحر، وقد دخلت فيه بتمام قيافتها. أقترب منها ناوياً أن ألاطفها

بكلمة، أجس (نبضها) فأتردد كثيراً، أو أسألها إن كنت بحاجة إلى خدمة ما، فلا أتجاسر، لكن. مع مرور الوقت، تلح الفكرة عليَّ، أقترب منها أكثر. تلحظ هي اقترابي منها وابتعادي عنها. فترامقني مرات عدة، ثم ألحظها ترامقني وتبتسم، تمتلئ الروح برغبتها. أدنو لمحادثتها كطفل، وأنا أتمنى من الله أن يمنَّ عليَّ بوقت طيب معها، إن حدث ذلك.. سأكتب تاريخ هذه الليلة على باب قلبي، أدنو أكثر، أهمس ببحة:

- «مساء الخير».

فتجيب دون تردد:

- «مساء الخير».

أتلعثم بالاعتذار، وسؤالي إن كانت بحاجة إلى مساعدة. فتهز رأسها نافية.. (ينقبض قلبي) فأكف عن الحديث.

تسألني دون توقع مني:

- «إلى أين؟».

فأجيبها بحرارة:

- «لقد تركت دوامي المسائي منذ قليل».

- «لكي تسهر؟».

- «لا.. فأنا وحيد».

تقول بعذوبة، وقد صمتت قليلاً:

- «ترافقني إلى مكان سهري!».

فأراوغ قائلاً:

- «قد أزعجك».

فتهز رأسها نافية. (نفي لا أجمل ولا أرق!) أنسى نفسي قليلاً.......

.. ففي هذه الليلة من أحادثه، سأبوح بكل أحزاني، سأقول لها - مصارحة - إن المدينة عذبتني، وأكلت قدميّ، وإن العيش فيها ضمور لا امتداد، وإنها لم تكن سلماً. كما قيل لي - له بداية ونهاية، وإن سنوات الحياة فيها درجات.. سنة تقود إلى سنة، حتى أصل إلي القمة، سأصارحها بأشياء كثيرة، لِمَ العجلة؟!

أمشي.. فأوازي الفتاة في مسيري دون أن أهتم بما هو حولي من أشياء، وأصوات وألوان. أحاول - قدر

استطاعتي - كتم صوت حذائي. وأدعو أن يكون وجهي - الذي دعكته في غفلة من الفتاة مرات عدة - لا معاً مثل وجهها، أتأسف لها لأن المطر بلل ثيابها وشعرها.. فتبتسم (أنتظرها لتتأسف لي.. لأن المطر بللني أيضاً، لكن انتظاري يقول). أحفّ بها مصادفة.. فأضطرب وأجرض بريقي. أسمعها تقول بصوت هادئ إنها قررت أن تفاجئ أصحابها الساهرين بمنظرها المبلول، فأبتسم.. بدا وجهها الواسع الطويل لامعاً متورداً.. كأن الدموع غسلته للتو. تقول لي:

- «سنفرح هذه الليلة أكثر من كل الليالي الماضية» فأتمتم لها:

- «هذه الليلة جديرة بالفرح».

(لماذا.. لمخلوق مثلي، لست أدري؟!).

تحدثني عن وحدتها مع والديها، وأنها عاتبة عليهما جداً لأنهما تركاها بلا أخ أو أخت، وأن حيرتها كبيرة دائماً لأنها لا تعرف كيف تقضي أوقات فراغها. وأحدثها عن قريتي والحياة فيها، وكيف كنت أظن أن شهادة الجامعة (حجاب) من الفقر، والخوف، والأماكن

العالية، والتردد، والسقوط (حجاب) سيمحو صفرة لوني، وعثراتي، وماضيّ (حجاب) سيأخذني إلى صدر أتمناه ودرب أشتهيه وقد طاردته طويلاً. كنت أظنها دنيا، فسعيت إليها، (بهدلتني) المطاعم ليلاً وأنا أغسل صحون روادها.. فتحملت، وعذبتني نهارات الدراسة، فصبرت، ولم أفطن إلى أن الدنيا تقدمت كثيراً، وحين حصلت على الشهادة انقلب السحر على الساحر.. فلا همومي ولت، ولا دفئي المرغوب.. دنا.

تقول باندفاع شديد: «إن الشهادة صفر، وما عادت تفيد بشيء!» فأوافقها!

وتضيف بأنها لذلك - ضحت برغبتها في دراسة الأدب الفرنسي، ودخلت الجامعة لتدرس الحقوق كما أحبت أمها.

أأمن على كلامها وأظل على صمتي؟ أم أنثر ما في القلب من غصّات؟ أتردد قليلاً، فتجتاحني - رغماً عني - كآبة أعرفها جيداً. أسمعها - بعد صمت قصير - تتحدث عن والديها الرائعين اللذين ذهبا إلي سهرتين مختلفتين. فأود أن أقول لها إن أهلي، الآن، نيام في

هجعة واحدة كعش من (الدبابير).. حلاوة الليل عندهم.. هو أنه هدنة مع الحياة ليس أكثر!

أسألها، وقد مضى علينا وقت طويل ونحن نمشي:

- «أما اقتربنا ؟!».

فتجيب:

«بلى، ولكنني أقترح عليك أن نتسكع في الشوارع حتى ما قبيل منتصف الليل بقليل. ما قولك؟!».

فأغمغم، وقد حننت لمجالستها، كأنني أعرفها منذ زمن طويل:

- «لكن الدنيا.. مطر، وبرد وأنت رقيقة!».

فتهمس:

- «لا عليك».

وتعود لمحادثتي، تقص عليَّ أخبار الذين تركتهم لأنهم غير جديرين بحبها، وتمد أمامي طقوس هواياتها، وصفات صديقاتها وما حدث لهن مع من عرفن، وتكشف لي عن أحلامها في السفر، ولكن تسايرني، وقد استمعت إليها طويلاً. تسألني عن ألواني المفضلة، فأقول:

- «الأحمر.. الأخضر..».

فتهز رأسها مستغربة، لتقول:

- «الألوان الأحلى هي الموف، والسكلما».

وهكذا ظللنا! حديث يأخذنا إلى حديث، وشارع إلى آخر إلى أن أنفقنا وقتاً طويلاً جداً حتى اقتربنا من منتصف الليل (الذي حسبته لن يأتي!).

- لحظتئذ قالت:

- «هيا، لقد تعبنا!».

فانطلقنا باندفاع باد، كنت أمنّي النفس بأن أرتوي من رؤيتها تحت أضواء مبهرة، داخل بيت دافئ..! كانت صامتة، مستمتعة بوقع أقدامنا، وصوت تساقط المطر.. لابد أنها - هي أيضاً - تفكر كيف مثلي... سأساعدها كثيراً. سأمحو عنادي وترددي، وأكون بين يديها ليناً طيعاً، سألبي رغباتها، وسأجعلها توقن تماماً بأن أبناء القرى جديرون بالوفاء أيضاً. أحمّس نفسي وأشجعها.. بأنه أبداً ما بين الوقوف والانحناء!!

بغتة، تنقطع أحلامي دونما تنبيه حين تقف رفيقتي

أمام باب خشبي عال، مزين بالنقوش والرسوم.. فأقف، تقابلني - لأول مرة - وجهاً لوجه، وقد حضنت صدرها بذراعيها، وشدت عليه. تقول:

- «لقد وصلت. هذا هو البيت».

فأقول لها، وأنا أبتسم:

- «أخيراً.. فقد كان مسيراً استثنائياً».

توافقني. تزم شفتيها على ابتسامة ناحلة، وتهز رأسها بعزم، ثم تتمايل أمامي بهدوء، وترمش بعينيها، ثم تقول:

- «أشكرك على كل شيء.. وأرجو لك ليلة طيبة، وعاماً طيباً.. أيضاً».

سقط قلبي أو كاد! لكنها تودعني! بعد كل هذا المسير، وكل هذا الحديث تودعني! «اعتقدت أنني وإياها.. كنا ننثر عتبات صغيرة وكبيرة هنا وهناك.. قد عرفت الروح وتاقت إليها..» إنها تودعني.. تبدد أحلام ساعات طويلة، أحلام عمر بحاله. تمد حياتي بكآبة إضافية، وإحباط جديد (وهل ينقصني؟!) أخطو نحوها.

أحاول أن أقول لها شيئاً. أن أشرح موقفي، وأبين لها أنها تركتني الآن.. سأردّ باب الحياة عليّ.. وأنتهي، سأحاول أن...!! لكنها تستدير دون أن تسمع كلمة واحدة، دون أن تواعدني لمرة قادمة، تفتح الباب وتدخل! فتنغلق الروح على ما فيها.. وتنطوي.

.. مع ذلك، وقبل أن يخدر الجسد في وقفته، أجرّ خطاي نحو غرفتي، فمازال لدي هناك جارتي العجوز التي تنتظرني كأنني ابنها الوحيد.. وهناك كتبي، وزهور الأقحوان، وفراشي، وعشاء عامي.. الأخير!!

* * *

سامية حسين علي محمد

من مواليد 1982 (مصر). نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات. مجموعتها الأولى تحت الطبع.

الحكم الأخير

خفتت أصوات الحضور وتعالت همساتهم عندما أشار الحاجب لهم بالوقوف إيذاناً بدخول القاضي إلى القاعة، كانت اللحظة الحاسمة، خيَّم السكون التام على المكان، أرهفوا الأسماع إنصاتاً لأنفاس القاضي، فتح فمه كي ينطق بالحكم، فإذا بالباب ينفتح بعنف، اندفعت معه الريح بشدّة، اتخذت لها مسار القلب، موجهة عاصفتها إلى الميزان البرونزي الذي بدأ يتمايل.. يترنّح.. ثم سقط.

لايزال أمامنا فرصة للاستئناف، ستكون الإصلاحات

قد تمّت وسيعود الميزان إلى صدارته، حينها ستغيب الريح بحلول الصيف، وتحسباً لهبوب نسمات صيفية سنتأكد من إحكام غلق الباب، وسوف نتأكد من ذلك حتماً.

للمرة الثانية ألاحظ هذا الميزان القابع على واجهة المبنى الخارجي، بدا لي مائلاً بعض الشيء وبرّاقاً أيضاً، لعل العامل نفش عنه أكوام الغبار التي أثقلت كفتيه، فمال منه رغماً عنه، نفضت الأفكار السوداء عن رأسي وأنا أصعد درجات السلم العالية.

هذه المرة لم نتكلم ولم نهمس طوال المرافعة، فقد أدركنا الحكم يقيناً، ترقبناه حرفاً حرفاً، تبارينا في صياغته حتى دخل القاضي، حرص على أن يُحكم إغلاق الأبواب جميعاً بأقفال ضخمة. كتمنا أنفاسنا حائري النظر ما بين القاضي والميزان. من الشباك الجانبي تدخل عصفورة صغيرة تحمل قشة.. حتماً أخطأت الطريق إلى عشها، أدركت الخطأ مؤخراً، فانتفضت من مهابة القاضي والحضور، سقطت قشّتها رغماً عنها لتستقر في إحدى كفتي الميزان.

* * *